بقلم الرئيس العام الشيخ
محمد صفوت نور الدين

وَاجِبُ الدَّعوة

إن الله سبحانه الذى خلق الكون أنزل الشرع فإذا رغب الخلق عن العمل بالشرع فسد حال الناس فى مطعمهم ومشربهم وعشرتهم وسائر حياتهم . وإذا لزم الخلق العمل بالشرع أصلح الله حالهم فأنبتت أرضهم وأدرت ضروعهم ولانت قلوب أُمرائهم وصلحت سائر أحوالهم . [ومن ذلك ما أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة من سننه باب صدقة الزرع . قال أبو داود : شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبراً ورأيت أُترجة على بعير بقطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين] . فانظر لما أطاع الناس فى الصدقات أجادت الأرض فى الإنبات . لكن هل ترى أخى القارىء المقاهى والملاهى مفتوحة وقت صلاة الفرائض بل صلاة الجمعة وهل ترى رواداً لها من المسلمين . لا شك أن هؤلاء لا يعرفون أن الصلاة فرض لازم ولو علموا ذلك لما تخلفوا عنها . ونذكر أيها الأخ المسلم أن المواعظ التى نقدمها للناس إنما تكون دائماً فى المساجد . فهؤلاء لا يرتادون المساجد فلا يظنون أنهم مخطئون ، بل يعتقد الكثير منهم أنهم من أهل التقوى والصلاح فصار الخطأ مركباً .

عندئذ نتسائل من يتحمل واجب الدعوة لهؤلاء . إن منهم الصانع الذى نستعمله فى صنعة والعامل الذى يقوم لنا بالأعمال الشاقة . والتاجر الذى نبيعه ونبتاع منه . والخباز الذى يعجن لنا ويخبز . وغير هؤلاء ممن نخالطهم الليل والنهار فمن الذى يدعوهم . إن واجب الدعوة يقوم على عاتق كل مسلم يرتاد المساجد ويقيم الصلاة لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

بل كما أشرنا أن ترك الشرع يوقع الضرر الذى يتعدى لغير تاركه ، وذلك ما ينبه إليه النبى ﷺ فى قوله : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[1] .

فالحديث الشريف يصور أوضح التصوير وأكمله أننا جميعاً نركب سفينة واحدة الغنى والفقير ، الصغير والكبير ، الذكر والأنثى ، الطائع والعاصى ، فإن تركنا العصاة أو مانعى الزكاة وقعنا شر وقوع فيما يعملون فليس من حرية العبد أن يعصى الله كيف يشاء بل يجب على الطائع أن يأخذ على يد العاصى حتى يترك المعصية ولقد وصف رب العزة سبحانه هذه الأمة بالخيرية فى قوله تعالى : ﴿ كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ فانظر رعاك الله كيف أن الله سبحانه جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر النابع من الإيمان بالله سبباً لخيرتة الأمة وانظر كيف قدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الإيمان بالله مع أن الإيمان لا يتقدم عليه شىء إنما هو من قبيل ذكر الثمرة قبل شجرتها للتنبيه والإعلام على أهميتها وأن الخيرية لا تتم إلا بهما وينبغى للعبد أن ينتبه أن الأخذ على أيديهم الذى ينسجم مع سياق (مثل السفينة) لا يعنى أولاً العقوبة أو التعزير إنما يعنى أن تساعد هذا الواقع فى المعصية على التخلص من معصيته بكل صور العون (العلم ، والتلطف والإرشاد وتحمل جزء من الجهد) بل قد يتحمل عنه جهد حمل الماء حتى لا يخرق السفينة لأن العقوبات بغير مخاطبة القلب والوجدان وإرساء قواعد الإيمان قد تؤدى أن يغافل صاحب المعصية الحارس أو السلطان فيوقع الخرق فى السفينة فى غيبتهم وهكذا ينبغى أن يكون الأخذ على أيدى العصاة والخارجين على الشرع والدين سابقاً على العقوبات وإنما تكون العقوبات حيث وضعها الشرع وبضوابطه .

وتدبر كيف يحتال الشيطان عليهم بحيلة (نصيبنا – لم نؤذ –) لتعلم أنه لا يجوز معارضة النص الواضح الصريح بالرأى الفاسد القبيح .

فهيا إلى واجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . قولوا قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى .

بقلم رئيس التحرير
صفوت الشوادفى

الاقتداء بالأنبياء

● الحمد لله رب العالمين . والعاقبة للمتقين !! والصلاة والسلام على رسوله الأمين ورسله أجمعين ... وبعد :

● فإن الحق – سبحانه وتعالى – قد بعث فى كل أمة رسولاً يأمرهم بعبادة الله ويبين لهم الطريق الموصل إليه ، وينهاهم عن الشرك ، ويحذرهم من الطرق المؤدية إليه ، ويقول لهم : ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ وقد اصطفى الله الرسل من بين خلقه ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ وصنع أنبياءه على عينه ! ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ وأوحى إليهم ، وعصمهم حتى بلغوا رسالات الله ، وبينوا للناس ما نزل إليهم ، فما من خير ينفع الناس فى دينهم ودنياهم إلا بينوه ودلّوا عليه ، وما من شر يضر الناس فى دينهم ودنياهم إلا حذروا منه ، ونهوا عنه .

● وقد جعل الله الأنبياء والمرسلين قدوة لعباده المؤمنين وأمرنا بذلك فقال : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ أى اقتدوا بهدى هؤلاء الرسل الذين هداهم الله وأقامهم على الحق قولاً وعملاً وذلك أن الإنسان – أى إنسان – لا يمكنه أن يعيش بغير قدوة ! وكل إنسان يقتدى – طوعاً أو كرهاً – بغيره إما فى الخير وإما فى الشر ! أو ساعة وساعة !!

والقدوة الكاملة لا تكون إلا فى الأنبياء والمرسلين .

كيف نقتدى بالأنبياء والمرسلين ؟؟

● قد يقول قائل ويسأل سائل : كيف نقتدى بالأنبياء ما دام أن الله قد أوجب ذلك علينا ؟ وما هو الطريق الذى ندرك به القدوة الكاملة ؟؟

والجواب : إننا لا يمكننا أن نقتدى بالرسل إلا إذا وقفنا على سيرتهم وسنتهم ، وذلك لأن الاقتداء بهم يدور على أمور ثلاثة : الاعتقاد والأقوال والأفعال .

● وعندما ننظر إلى عقيدة الرسل سنجد أنهم جميعاً على عقيدة « التوحيد » فهم جميعاً يقولون لأقوامهم : ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ وهم جميعاً قد أوحى الله إليهم بقوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

ولذلك فإن الذين يخالفون عقيدة التوحيد التى جاءت بها الرسل يخرجهم ذلك من الإيمان إلى الكفر ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

بل ويشهد عليهم رسولهم يوم القيامة لأنهم لم يقتدوا به فى الإيمان ، وخرجوا منه إلى الشرك ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ ؟! قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ! إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

وأما الاقتداء بالأنبياء فى العبادة :

● فإننا إذا تدبرنا ذلك الأمر فى كتاب الله فإننا نجد أن أصول العبادات واحدة ، وإنما وقع التفاوت بينها فى الهيئة والكيفية فقط !!

قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

وقال عن إسماعيل عليه السلام ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ .

وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء ٧٣ .

وقال سبحانه – عن الصوم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وقال لنبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

وقد ثبت أن جملة من الأنبياء قد حجوا بيت الله الحرام ، كلٌّ فى زمانه الذى بعث فيه .

● ونحن نتحدث عن القدوة الحسنة ينتقل بنا الحديث إلى مواضع القدوة فإن الله قد جعل أنبياءه ورسله قدوة لنا فى كل شىء وشأن فإنهم – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – قدوة للحكام والمحكومين ، وقدوة للعلماء والدعاة ، والعامة والخاصة ، والأغنياء والفقراء والصحيح المعافى والمريض الذى نزل به الداء .

وهم كذلك قدوة لمن رزقه الله الذرية ، وقدوة لمن حرمه منها !! فهم قدوة للجميع وأئمة للجميع ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه ﴾ .

● ولأننا فى هذه العجالة لا نستطيع أن ننبه على مواضع القدوة تفصيلاً ، فإننا نشير إلى أمثلة منها على أن يقوم القراء الكرام بمتابعة مواضع القدوة فى كتاب الله تفصيلاً ليدركوا من وراء ذلك هاتين الفائدتين

الأولى : العبرة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبَاب ﴾ .

الثانية : تثبيت الفؤاد ﴿ وَكُلّاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ .

وإنى لأرجو من كل قارىء أن يتدبر معى هذه الأمثلة الرائعة تدبراً عميقاً !!

المثال الأول :

● تدبر قوله تعالى عن نوح عليه السلام ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً ﴾ مع قوله تعالى ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ !! والدعاة إلى الله هم أشد الناس حاجة إلى هذا الدرس ؛ فلا نيأس من دعوة غيرنا ، وإن وجدنا إعراضاً وصدوداً أو إنكاراً وجحوداً !!

المثال الثانى :

● قارن بين ما كان من شأن نوح مع ابنه ، وما كان من شأن إبراهيم مع أبيه !! فنوح هو قدوة الآباء الصالحين مع الأبناء العاقّين ! وإبراهيم هو قدوة الأبناء البررة مع الآباء الكفرة أو الفجرة !! فتدبر هذا حق التدبر ، وتفكر فيه حق التفكر !

المثال الثالث :

● قارن بين دعوة موسى عليه السلام وهو محتاج إلى الطعام فى سفره ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

ودعوة سليمان عليه السلام ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكاً لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِن بَعْدِى إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ !

فظاهر السياق أن موسى يطلب الكفاف ! وسليمان يطلب الدنيا بأسرها ! فبمن نقتدى ؟!!

والجواب : أن الناس يتقلبون بين الغنى والفقر ، والمؤمن فى حال فقره يقتدى بموسى عليه السلام ويلجأ إلى الله كما فعل ، وفى حال غناه فإنه يقتدى بسليمان فى قوله بعد أن أعطاه الله الدنيا : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وهذه حكمة لله بالغة ، فلو كان الأنبياء كلهم فقراء لما وجد المؤمن الغنى أحداً من الأنبياء يقتدى به !

المثال الرابع :

● عندما يشتد بالمؤمن المرض ، ويطول البلاء فإنه لا يذهب إلى كاهن أو عراف أو ساحر ونحوه ، وإنما يذهب إلى ربه ويجد فى نبى الله أيوب قدوة وأسوة ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

فإذا ذهب المؤمن إلى طبيب فإن قلبه لا يلتفت إليه ، وإنما يراه سبباً ظاهراً قد يجرى الله الشفاء على يديه ، وقد لا يفعل !!!

المثال الخامس :

● قد يحرم المؤمن من الذرية لحكمة يعلمها الله ، وذلك لأنه سبحانه ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ .

فإذا أراد أن يطلب الذرية فإنه يجد فى نبى الله زكريا عليه السلام أسوة وقدوة فى قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ وتدبر كيف أنه اشترط أن تكون الذرية طيبة ! فإن الذرية الفاسدة لا خير فيها ومثالها ولد نوح ، والغلام الذى قتله الخضر .

والحرمان من الذرية خيرٌ من ذرية فاسدة !! فتدبر وتفكر !

المثال السادس :

● قد ينزغ الشيطان بين المسلم وإخوته ، أو بينه وبين إخوانه ! فيقتدى بيوسف فى قوله : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾ .

● وقد يسجن المسلم ظلماً ومع هذا فهو يصبر ويرضى ويؤثر السجن على الوقوع فيما حرم الله ، ويقول كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ .

● وبعد : فإن كل موضع فى كتاب الله تحدث عن نبى من أنبياء الله يكون لنا فيه أسوة وقدوة .

وعالم اليوم يموج بالفتن ، وقد ابتلى المؤمنون فيه ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا مفر منه إلا إليه .

وليس أمامنا إلا أن نعود إلى الله عوْداً حميداً . وأول الهداية : كلمة التقوى التى نحن أحق بها وأهلها وأن نقتفى أثر الأنبياء والمرسلين .

فقدوتنا ليست فى شرق أو غرب !

وإنما فى وحي أنزله ، ورسولٍ أرسله !

وصلى الله وسلم وبارك على رسله أجمعين وعلى رسولنا وصحبه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كفى بالمرء عيباً أن يُبصِرَ من الناس ما يَعْمَى عليه من نفسِهِ ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذى جليسَه بما لا يَعْنِيه .

كان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال : مَرْحَباً بملائكة الله اكتُبوا بسم الله الرحمٰن الرحيم سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر .

وقال : إذا تكلمتَ فاذكر سمع الله إليك وإذا هممت فاذكر علمه بك وإذا نظرت فاذكر نظره إليك .

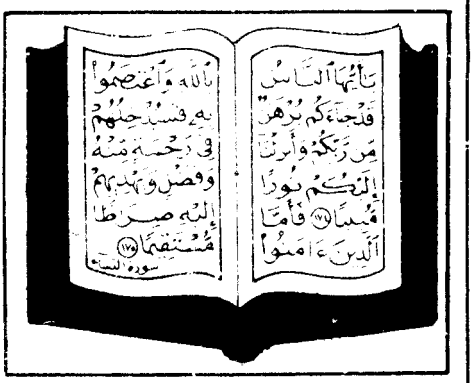

علوم القرآن أصولاً ومنهجاً

بقلم
ا.د محمد بكر اسماعيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر

أسباب النزول

علمنا فيما سبق أن القرآن الكريم نزل منجماً على الرسول ﷺ فى نحو ثلاث وعشرين سنة نزلت كل آية منه لحكمة وغاية ، جماع هذه الحكم والغايات تشريع ما فيه سعادة الإنسان فى دنياه وأخراه ، ويمكن اعتبار ذلك سبباً عاماً لنزول كل آية من آيات القرآن ، ولكن العلماء قصدوا إلى الأسباب الخاصة قصداً أولياً بعد أن عرفوا هذا المقصد العام ، فتتبعوا ما نزل على سبب معين ، أو حادثة بخصوصها ، أو نزل دفعاً لشبهة أو إجابة عن سؤال ونحو ذلك ، ففسروا هذه الآيات وفقاً لأسباب نزولها أولاً ، ثم نظروا فى شمول أحكامها لجميع المخاطبين وعدم شمولها .

ولا شك أن تفسير الآية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسبب نزولها ، فعليه المعول فى فهمها ، ولا سيما إذا كانت لا تتناول بعمومها جميع المخاطبين كما سيتبين لنا فيما بعد .

وأكثر القرآن نزل ابتداء لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وهداية الخلق إلى الخالق عز وجل .

وما نزل على أسباب خاصة ، وحوادث معينة قليل ، لكنه مع قلته تألف منه علم عظيم لا غنى عنه

لمفسر أو محدث أو فقيه .

ولعلك فطنت مما سبق إلى معرفة معنى السبب الذى تنزل عليه الآية بوجه عام ، ونزيدك هنا إيضاحاً بذكر تعريف جامع لأكثر مسائله ، مانع من دخول غيرها فيها فنقول : -

سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه ، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه .

وبيان ذلك أن الآية أو الآيات قد تنزل مثلاً لتفصل بين متخاصمين وقع بينهما شجار ، أو تكشف عن مكيدة صنعها بعض المنافقين ، أو تتحدث عن مقولة قالها أحد المشركين ، أو ترفع شبهة أدلى بها بعض المغرضين أو تزيل ريباً وقع فيه بعض المؤمنين ، أو تبت فى شكوى توجه بها إلى النبى ﷺ بعض المظلومين ، أو تجيب عن سؤال ، أو تمنى صدر عن واحد أو أكثر من المسلمين أو المشركين ونحو ذلك مما سيأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

والمراد بقولنا (أيام وقوعه) أن الحادثة أو السؤال لا يصلح كل منهما سبباً للنزول إلا إذا نزلت الآية أيام وقوعه ، أو بعده بقليل فهو قيد فى التعريف لابد منه للاحتراز عن الآية أو الآيات التى تنزل ابتداءً من غير سبب ، والتى تتحدث عن حوادث ماضية سبقت نزول الآية بزمن بعيد لأن البيان لا يتأخر عن وقت الحاجة - كما يقول علماء الأصول - واحترازاً عن الآية أو الآيات التى تتحدث عن حوادث مستقبلة تقع بعد نزولها .

هذا : وقد اعتمد العلماء فى معرفة أسباب النزول على صحة الرواية عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة ، فإن إخبار الصحابى عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأى بل يكون له حكم المرفوع .

وذهب السيوطى إلى أن قول التابعين إذا كان صريحاً فى سبب النزول فإنه يقبل ، ويكون مرسلاً ، إذا صح السند إليه ، وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير واعتضد بمرسل آخر .

والصيغة التى يعرف بها سبب النزول إما أن تكون نصاً صريحاً فى السببية وإما أن تكون محتملة .

فتكون نصاً صريحاً فى السببية إذا قال الراوى :

(سبب نزول هذه الآية كذا) أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة ، أو السؤال ، كما إذا قال : (حدث كذا) أو (سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية) فهاتان صيغتان صريحتان فى السببية .

وتكون الصيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوى : (نزلت هذه الآية فى كذا) فذلك يراد به تارة سبب النزول ، ويراد به تارة أنه داخل فى معنى الآية .

وكذلك إذا قال : (أحسب هذه الآية نزلت فى كذا) أو (ما أحسب هذه الآية نزلت إلا فى كذا) .

فإن الراوى بهذه الصيغة لا يقطع بالسبب - فهاتان صيغتان تحتملان السببية وغيرها كذلك .

قال ابن تيمية : - قولهم نزلت هذه الآية فى كذا يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل فى الآية وإن لم يكن السبب .

وقد تنازع العلماء فى قول الصحابى : نزلت هذه الآية فى كذا هل يجرى مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذى أنزلت لأجله أو يجرى مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند ؟ فالبخارى يدخله فى المسند ، وغيره لا يدخله فيه ، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا فى المسند . اهـ .

وقال الزركشى فى البرهان : (قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية فى كذا ، فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب فى نزولها ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع) .

هذا ما وسعنى إملاؤه فى هذا المقال ، وسنتحدث فيما بعد - إن شاء الله تعالى - عن تعدد الروايات فى سبب النزول ، وتعدد الأسباب وأقسام السبب إلى غير ذلك مما يندرج تحت هذا المبحث الجدير بالدراسة والتمحيص .

محمد بكر إسماعيل
الأستاذ بجامعة الأزهر

أسماء الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » .
متفق عليه

● هذا الحديث الجليل يحمل بشارة عظيمة بالجنة لمن أحصى أسماء الله التسعة والتسعين . قال فى معارج القبول : (والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها ، كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به ، بل إن المرّاق من الدين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم) .

فمن أحصى من أسماء الله البصير هل يختبئ من الناس بمعصية الله الذى يعلم أنه يراه ؟ ومن علم أن من أسمائه الرزاق فهل يطلب الرزق بغش أو سرقة أو رشوة وهو يؤمن أن الله هو الرزاق فكيف يطلب رزقه بمعصية ؟ وهكذا من اعتقد فى أسماء الله سبحانه استقامت أعماله وصلحت أحواله فدخل الجنة .

● وأسماء الله عز وجل توقيفية يراعى فيها الكتاب والسنة والإجماع فكل ما ورد فى هذه الأصول وجب الأخذ به وما لم يرد لا يجوز إطلاقه على الله سبحانه وإن صح معناه أو أجازته العقول أو حكم به القياس . ولا يجوز أن نشتق لله سبحانه أسماء من كل

الأفعال التى نسبها الله سبحانه لنفسه أو نسبها إليه رسول الله ﷺ . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ويقول : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ ويقول عز وجل : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ويقول : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ ويقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخر هذه الآيات الكثيرة التى حملت أفعالاً للمولى سبحانه، ولا يجوز أن يشتق له منها أسماء سبحانه وإن اشتقاق مثل هذه الأسماء (الماكر - المخادع - المستهزئ - الكائد - المصم - المعمى - الغاضب) لهى أمور تقشعر منها الجلود وتكاد تصم منها الأسماع لأن الله له الأسماء الحسنى وهذه تكون حسنة تارة وغير ذلك تارة أخرى حيث يكون المكر والخداع منه سبحانه على سبيل الجزاء عدلاً منه وفضلاً . ولا يجوز أن نطلق على الله من الأسماء ما نراه بأهوائنا وعقولنا مثل من يقول: إن الله مهندس الكون ولا الطبيب المعالج للناس ذلك لأن أسماء الله سبحانه كلها توقيفية وهو الذى سمى نفسه فهو غنى عن خلقه أن يسموه .

● إنما الأصنام التى عبدوها شركاً وكفراً هى التى تحتاج للتسمية منهم والله عن تسمية خلقه له غنى، وأسماء الله دالة على صفات كماله فهى أسماء وهى أوصاف وكلها حسنى بخلاف خلقه، فمن الناس من يُسمَّى طويلاً وهو قصير . أو عادلا وهو ظالم وغير ذلك من تناقض أسماء الخلق مع صفاتهم بل قد يعمدون إلى الملدوغ فيسمونه سليماً وإلى طائفة الإبل الذاهبة فيسمونها قافلة .

● والله سبحانه أسماؤه دلالتها على الذات مطابقة وتدل على الصفة المشتقة منها تضمناً وتدل على الصفات الأخرى لزوماً فاسم الله القوى يدل على الله سبحانه مطابقة ويدل على قوته تضميناً وتدل على الحى - القيوم - السميع - البصير - التزاماً .

● وينبغى أن يكون دعاء العبد لربه بأسمائه الحسنى بما يناسبها كقوله ﷺ : « اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى » . ولا يناسب أن يقول العبد : (يا منتقم يا جبار ارحمنى وتب علىَّ) إنما تدعوه بأسمائه وتتعبده بما يناسب مقام طلبه ومسألته لربه . ولا يجمل بالمسلم أن يدعو ربه بأسماء تبدو فى ظاهرها أنها تحمل معنى الإضرار بالعبد مثل المانع . الضار . المذل . القابض . الخافض . المميت . إنما تذكر

مقترنة مع مقابلها مثل: المعطى المانع - النافع الضار - المعز المذل - الباسط القابض - الرافع الخافض - المحيى المميت . لأنه سبحانه ما أوقع المنع سبحانه إلا بعد عطاء ولا الضر إلا بعد نفع . ولا الإذلال إلا بعد عز، وهكذا ينبغى على المسلم أن يتأدب مع ربه فى دعائه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وأن يتحرى الصواب فى ذكر ربه .

● **ويلزم المسلم أن يفهم من أسماء الله سبحانه الكمال لذا فإن أسماء رب العزة سبحانه جاءت فى المواضع الدالة على كماله سبحانه، كما قال سبحانه** : ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيم . هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

● **والله جلت قدرته إنما عرفنا بأسمائه لعبادته فهو القائل سبحانه** : ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ سَبَّحَ لله مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ **وقال سبحانه** : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض فِى سِتَّةِ أيامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُون بَصِيرٌ ﴾ .

● **وأسماء الله سبحانه دالة على صفات كماله فإذا قلنا** : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الحكيمُ ﴾ ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً ﴾ ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَة الكَبِيرُ المُتَعَال ﴾ ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ **نؤمن أنه سبحانه عالم الغيب فإن أطلع أحداً على غيبه سبحانه فلا سبيل لغير من أطلعه أن يعلم هذا الغيب ، فالملائكة لا يعلمون الغيب الذى أطلع الله عليه آدم فلما قال لهم الله سبحانه** ﴿ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ **والجن لا يعلمون الغيب** ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبِ مَا لَبِثُوا فِى العَـذَابِ المُهِينِ ﴾ .

والأنبياء لا يعلمون الغيب ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . فهل بعد ذلك يكون من الدجالين والمشعوذين من يعلم الغيب إذا كان هؤلاء لا يعلمون .

● وأسماء المولى سبحانه ليست بمنحصرة فى التسعة والتسعين المذكورة فى حديث أبى هريرة لكنها فقط من أحصاها دخل الجنة لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً »[1] قيل يا رسول الله ألا نتعلمها ؟ فقال : « بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها » .

● وأسماء الله سبحانه دالة على كمالاته ولأن كمالات الله سبحانه لا نهاية لها ، لذا قال بعض أهل العلم : إن أسماء الله تعالى لا نهاية لها لكن لا تثبت إلا بنص شرعى من قرآن أو سنة أو إجماع ، ولقد وردت أحاديث جمعت الأسماء التسعة والتسعين وفى بعضها زيادة ونقصان ولقد رجح الكثير من أهل العلم أن فى هذه الأسماء إدراج من الرواة اجتهدوا فى جمعها من القرآن والسنة . ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإمام أحمد بن حنبل وغيره اجتهدوا فى جمع تلك الأسماء . ولقد بسط ابن حجر فى فتح البارى هذا المبحث فسرد الأسماء بالأحاديث التى جاءت فيها ثم سرد تسعاً وتسعين اسماً ذكر أنها فى القرآن الكريم .

وهى اجتهادات طيبة لأهل العلم ، وعلى المسلم أن يعتقد فى هذه الأسماء ويتخلق بما تدل عليه فإذا عرف ربه تواباً كان دائم الرجوع إليه والتوبة . وإذا عرفه جباراً تواضع له سبحانه ، وإذا عرفه رحيماً تعرض لأسباب رحمته حتى ينال منها وإذا عرفه رزاقاً لم يطلب الرزق بمعصية . وهكذا ، فنسأل الله أن يجعلنا من العابدين له بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والله من وراء القصد .

محمد صفوت نور الدين

بقلم

د. جمال المراكبى

عضو لجنة الفتوى

الديمقراطية والنظام السياسى الإسلامى

سادت الفكرة الديمقراطية العالم ، خاصة بعد انهيار الأنظمة الدكتاتورية ، حتى أضحى الحكم الديمقراطى أمل كل الشعوب .

وقد سرت هذه الروح فى أذهان أكثر المسلمين ، فظهرت الأفكار التى تدعو إلى تقليد الغرب فى كل شىء ، وظهرت أفكار أخرى ترى أن الديمقراطية تجد أساسها فى الإسلام ، فالإسلام هو الديمقراطية فى أسمى وأرفع أوضاعها .

● ولكن إلى أى حد تتشابه الديمقراطية مع نظام الإسلام السياسى ؟

وهل يصل هذا التشابه إلى حد التطابق ، والقول بأن الإسلام هو الديمقراطية فى أسمى أوضاعها ؟ أم أن أوجه الخلاف بين النظامين كثيرة لا يمكن تجاهلها ؟

الديمقراطية هى حكم الشعب صاحب السيادة بواسطة الشعب فهى ترمى إلى تملك السلطة بواسطة الشعب ، وتهدف إلى تحقيق المساواة القانونية بين الأفراد وإطلاق حرياتهم ، ولهذا فإن المذهب الفردى الحر هو أساس الديمقراطية فهل يتحقق النظام الإسلامى مع الديمقراطية فى هذه الأسس ؟

والحقيقة أن الديمقراطية والنظام السياسى الإسلامى لا يتطابقان قد نجد هناك بعض أوجه الشبه بين النظامين ، ولكننا لا نعدم أبداً أوجهاً للاختلاف .

الاسلام والديمقراطية ومبدأ سيادة الأمة : -

● مبدأ سيادة الأمة هو لب الديمقراطية وأساسها المتين والسيادة هى تلك السلطة العليا التى لا تضارعها سلطة أخرى

فإذا كانت السيادة للأمة كانت لإرادتها تلك السلطة العليا ولما كانت الأمة فى مجموعها يستحيل عليها ممارسة مظاهر السلطة والسيادة ، فإن أفراد الأمة يختارون نواباً ينوبون عنها فى ممارسة مظاهر السيادة والسلطان عن طريق الانتخاب وتعبر الأمة عن إرادتها فى صورة القانون ، ويمكن للأمة أن تصدر ما تشاء من قوانين ، ولا يحد من إرادة الأمة شئ .

● وقد تأثر بعض المسلمين بهذا المبدأ وفُتِنُوا به ، ثم نظروا إلى النظام الإسلامى فوجدوا أن الأمة هى التى تختار حاكمها ، وتراقبه وتناصحه ، وتحاسبه ، وتملك وحدها عزله إن حاد عن الطريق السليم ، فالحاكم وكيل عن الأمة يستمد سلطانه منها ، أو هكذا ينبغى أن يكون الحاكم فى المجتمع المسلم وانتهى هؤلاء إلى أن الأمة هى صاحبة السيادة فى الدولة الإسلامية ، وأن الأمة هى مصدر السلطات ، وأن المسلمين هم أول من قرر هذه الحقيقة وعمل بها .

● ولعل الذى دفع هؤلاء إلى هذه النتيجة هو نفى أن يكون الخليفة هو صاحب السيادة فى الدولة الإسلامية وما يتبع ذلك من كون النظام السياسى الإسلامى نظاماً استبدادياً أو تقراطياً ، وكذلك نفى أن تكون السلطة فى الدولة الإسلامية دينية أو بمعنى أخر ثيوقراطية ، وإنما هى سلطة مدنية مرجعها الأمة .

ودفعهم إلى ذلك أيضاً ما للأمة من سلطة واسعة فى اختيار الخليفة ، وأن إجماع الأمة حجة من الناحية الشرعية حيث عصم الله هذه الأمة من أن تجتمع على باطل أو ضلالة وفى الحديث « لا تجتمع أمتى على ضلالة »[1] .

والأمة كذلك مسئولة عن إقامة الدين وشرائعه وأحكامه ولهذا فإن نصوص القرآن والسنة تتوجه بالخطاب لعموم المؤمنين المكلفين بإقامة هذه الأحكام .

ودفعهم إلى ذلك أيضاً تلك الجاذبية التى تتمتع بها الأنظمة الديمقراطية التى تقوم على مبدأ سيادة الأمة ، أو السيادة الشعبية .

ولكننا لا يمكن أن نسلم بهذا القول ، فالأمة فى النظام الإسلامى لا تملك هذه السلطة المطلقة التى تملكها الأمة فى النظام الديمقراطى ، ولا تملك أن تصدر ما تشاء من قوانين لأنها مقيدة بأحكام الشريعة الإسلامية .

فليس للأمة أن تخالف نصاً قطعياً من نصوص الكتاب والسنة ، وحتى فى الدائرة التى لا تحكمها النصوص لا يجوز للأمة أن تشرع ما تشاء من قوانين وإنما هى مقيدة بألا تخرج عن روح الشرع . لذلك حرص معظم القائلين بهذا القول على أن ينصوا على أن سيادة الأمة فى النظام الإسلامى مقيدة بما فى نصوص الشرع ولكن هذا القيد يهدم مذهبهم من أساسه ، فالأمة لا يمكن أن تعد بحال صاحبة السيادة فى الدولة مع اعتبار هذا القيد وذلك لأن تقيدها بنصوص الشرع يؤدى حتماً إلى أن السيادة تكون لأحكام الشرع

الإسلامـــى ، أى لله رب العالمين وليست للأمة كما يزعم هؤلاء .

ومن يرجع إلى ماكتبه علماء المسلمين قديماً فى أصول الفقه فى مبحث الحكم يعرف أن علماء المسلمين قد قرروا هذه الحقيقة وأجمعوا عليها .

● إن نفى السيادة عن الأمة لا يعنى أن النظام السياسى الإسلامى نظام استبـدادى ، لأن الحاكم مقيد بأحكام الشرع الإسلامى فلا يجوز له الخروج عليها ، وقد أوجب الشرع على الأمة مراقبـة الحكام ومناصحتهـم ، بـل وعزلهم إن خرجوا عن إطار الشرعية ، ورفض رفضاً باتاً مبدأ الطاعة فى المعصية ، وهُو لا يعنى كذلك أن النظام الإسلامى نظـام ثيوقراطـى وذلك لأن الحاكم فى الدولة الإسلامية لا يحكم بوصفه نائباً عن الله ، أو بحق إلهى مباشر أو غير مباشر وإنما يحكم بوصفه وكيلاً عن الأمة التى كلفها الله بإقامة شريعته وهو مقيد بأحكام الشرع الإسلامى لا يمكنه الخروج عليها وإلا عزلته الأمة وولت غيره .

إن مبدأ سيـادة الأمـة لا يتلاءم إلا مع نظام علمانى يقصى الدين عـن الدولـة والسياسة ، ويخول للأمة أن تقرر ما تشاء مما يوافق مصالحها دون أن ترجع فى ذلك لأحد ، أما النظام الإسلامى فهـو لا يغفل دور الأمة فى إدارة شئونها ، ولكنه لا يغفل أيضاً القواعد والضوابط التى تحكم الأمة فى تصرفاتها .

● ويمكـن تلخيص هـذه القواعد على النحو التالى : -

١ - السيـادة فى الدولـة الإسلامية لله تعالى متمثلة فى أحكام شريعته الخالدة التى تَعَبَّدَ الناس بها .

٢ - الأمة مسئولة عن تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية لأنها حاملة الأمانة والمخاطبة بأحكام الشريعة .

٣ - الأمة تختار الحاكم الذى ينوب عنها فى تنفيذ أحكام الشريعـة وسيـاسة الأمـور الدنيوية على مقتضاها ، وذلك لأن الأمة مجتمعة لا تستطيع أن تقوم بهذه المهام .

٤ - الحاكم لا يمارس سلطاته نيابة عن الله تعالى ، وإنما نيابة عن الأمة ، ولذلك فللأمة الحق فى مراقبته ومناصحته ومحاسبته وعزله إن اقتضى الأمر .

٥ - لا سيادة ، ولا وصاية لفرد من الأفراد ولا لطبقة من الطبقات على الأمة .

● وبهذا يتضح لنا أن النظام السياسى الإسلامى لا يتفق مع الديمقراطية فى أدق خصائصها وأهم أسسها ، ولا يعنى هذا أن النظام الإسلامى يفتقد مزايا الديمقراطية لأنه ما من ميزة أو فضيلـة يـأتى بها النظـام الديمقراطى إلا ويتمتـع بها النظام الإسلامى على الوجه الأكمل ، ويتضح لنا هذا حين نقارن بين النظام الإسلامى والديمقراطية من حيث إقرار الحقـوق الفردية وإطـلاق الحريات ، وقد سبق لنـا الحديث عن كفالة الحقوق والحريات كمبدأ من المبادىء التى يقوم عليها نظام الحكم الإسلامى وبطبيعة الحال لن نكرر ما سبق أن أوردناه ، ولكننا نشير إشارات بسيطة لتتضح لنا هذه الحقيقة ، من

هذه الإشارات :

١ - أن هذه الحقوق والحريات التى تتغنى بها الديمقراطية قد عرفها المسلمون منذ ما يقرب من خمسة عشر قرناً .

٢ - ولا يفوتنا أن الفكر البشرى قد تطرف فى إقرار هذه الحقوق تطرفاً واضحاً ، ولا تزال آثار هذا التطرف واضحة فى المجتمعات الديمقراطية ، بينما جاءت الشريعة الإسلامية بنظام متكامل فيه إقرار لهذه الحقوق والحريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ووسائل حمايتها والحفاظ عليها فى ثوب أخلاقى قشيب دونما إفراط أو تفريط .

٣ - وإذا كان الفكر الديمقراطى قد نجح فى بلورة هذه الحقوق والنص عليها فى إعلانات الحقوق ومقدمات الدساتير ، فإن الإسلام قد تجاوز هذا الحد فعدها من الواجبات التى لا يجوز للفرد ولا للجماعة التنازل عنها أو السماح بالنيل منها .

● إن هذ الحقوق والحريات تستند مباشرة إلى الشرع الإسلامى فتستمد قوتها من قوته وخلودها من خلوده ، وقدستيها من قدسيته ، فلا يملك أحد كائناً من كان المساس بها إلا إذا نال من شريعة الإسلام ذاتها .

● إن هذه الحقوق لا يكتفى الإسلام بإقرارها من وجهة نظرية عامة بل يعضدها بما فى تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق ويقرر لها صفة الإلزام .

● وخلاصة هذه النتائج أن الإسلام بإقراره للحقوق والحريات قد تجاوز إلى حد بعيد ما قررته الديمقراطية اليبرالية فى العصر الحديث ، فما زالت هذه الأنظمة تخوض فى بركة لا أخلاقية فى إقرارها لهذه الحقوق ، حتى صار الشواذ يؤثرون على القرار السياسى فى بعض هذه البلاد ، ويدعون للتمرد على الدين وهدم الأخلاق إلى حد بعيد موقف الإسلام من المذهب الفردى الحر : لاشك أن المذهب الفردى هو الوجه الاقتصادى للديمقراطية والإسلام لا يميل إلى هذه النزعة الفردية البحتة ، بل يهدف إلى تحقيق صالح الفرد والجماعة معا .

فالملكية فى الإسلام مصونة ، لا يملك أحد أن يعتدى عليها ولكن هذا الحق لا ينبغى أن يتجاوز به صاحبه الحدود المشروعة فى الاكتساب والإنفاق ، لأن مجتمع المؤمنين يعلم يقيناً أن الملك لله وحده ، والإنسان فستخلف فيما حوله الله وإنها أمانة يحاسب عنها الإنسان ، ومن ثم فالإسلام لا يبيح الاحتكار ولا الاستغلال ، ولا أكل أموال الناس بالباطل ، ولا الربا ولا القمار قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وقال ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ الأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ .

والشريعة توجب على المالك - المستخلف - ألا يتجاوز هذه الحدود الشرعية فى الاكتساب ، وتوجب عليه ألا يتجاوزها فى الانفاق ، وتجعل للفقير حقاً معلوماً فى مال الغنى ، وتفصيل ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، بينما الديمقراطية لا تكاد تعرف

من ذلك شيئاً ، ولهذا يتخبط المشرع الوضعى يميناً ويساراً فى تقديره وضبطه لهذه الحقوق .

● نستخلص من ذلك أن النظام السياسى الإسلامى يختلف مع الديمقراطية اختلافاً بيناً من حيث الأساس والمبدأ ومن ثم يكون التجاوز أن يوصف النظام الإسلامى بأنه نظام ديمقراطى ، كما أن مدلول كلمة الشعب تختلف بين النظامين ، فالشعب فى منظور الديمقراطية يرتبط بالفكرة القومية ، بينما هو فى منظور الإسلام أوسع من ذلك بكثير بحيث يضم كل من شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله بالإضافة إلى أهل الذمة من غير المسلمين .

● وإذا كنا قد قارنا بين الديمقراطية وبين النظام السياسى الإسلامى من حيث الأساس ، فإننا نجد صعوبة بالغة فى المقارنة بينهما من حيث الشكل والتفصيلات الجزئية ، لأن النظام السياسى الإسلامى قد ترك هذه التفصيلات لظروف الزمان والمكان ، بحيث تمارسها الأمة بالشكل الذى يحقق لها المصلحة .

● ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتلمس بعض أوجه الشبه من حيث الشكل بين النظامين ، فلا شك أن النظام النيابى هو أقرب أشكال الديمقراطية للنظام السياسى الإسلامى خاصة فى شكله الرئاسى .

وكذلك فإن الشبه بين نظام الانتخاب وبين نظام البيعة عند المسلمين واضح .

● وعلى كل حال فالنظام الإسلامى كما قلنا من قبل يتوخى المصلحة فى كل ذلك ، ولا مانع من الاستفادة من تجارب الآخرين فى كل ما سكت عنه الشرع ، ولا شك أن حديثنا السابق عن التعددية لأبلغ دليل على ذلك .

● وبعد ذلك فهل تعتقد أيها المسلم أن النظام الإسلامى صورة من صور الديمقراطية ؟

وهل تعتقد أن حل ما نعانيه من أزمات يكمن فى الاعتصام بالديمقراطية شكلاً وموضوعاً ؟

أم أننا فى حاجة ماسة إلى الاعتصام بالله تعالى وبدينه وشرعه ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّى عَلَيهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى ١٠]

(١) **حسن** . أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠) وغيره من حديث أنس مرفوعاً ، وفى سنده مقال ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (رقم ٨٥) بسند جيد عن أبى مسعود موقوفاً ، وكذا أخرجه الطبرانى ، وفى الباب عن ابن عمر وغيره وطرقه لا تخلو من مقال ، لكن يقوى بعضها بعضاً ، وانظر التلخيص (١٤١/٣) ، والصحيحة (رقم ١٣٣١) ، والضعيفة (١٥١٠) ، والسنة لابن أبى عاصم (رقم ٨٠ ، ٨٢ - ٨٥ ، ٩٢) .

شبهات حول تطبيق الشريعة الإسلامية

بقلم
ا.د محمد نبيل غنايم
أستاذ الشريعة دار العلوم

تحدثنا فى المرات السابقة عن بعض الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام ، وبينّا فساد هذه الشبهات وبطلانها ، كقولهم بجمود الشريعة وعدم تطورها ، واتهام الشريعة الخاتمة الخالدة بعدم صلاحيتها للعصر الحاضر ، وأن الشريعة ظلمت المرأة واضطهدتها ، وكلها أقوال عارية عن الدليل ، يعلم فسادها بالفطرة ، فيجب علينا (حكاماً ومحكومين) تطبيق شرع الله إن أردنا النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة ، فإن الشريعة جاءت منذ أربعة عشر قرناً بكل المبادىء الأساسية للإنسانية وللدولة العصرية ، والتى يدعو إلى بعضها ـ ولا يطبقونها ـ دعاة المدنية والحضارة الحديثة، وهى مبادىء: المساواة والحرية والعدالة ، وما أحله الإسلام ، وما حرمه وما جاء به أثبتت الأيام صلاحيته بعد مئات السنين ، وما لم يعرف الناس صلاحيته الآن سيعرفونها بعد حين .

اتهام التشريع الإسلامى بالهمجية والوحشية فى الحدود والعقوبات

ومما أثاره الأعداء حول التشريع الإسلامى من شبهات وافتراءات قولهم إن العقوبات فى الإسلام وحشية وقاسية ، ويستشهدون على ذلك برجم الزانى أو جلده وقطع يد السارق .. إلخ . ويرون أن فى إقامة هذه الحدود إهداراً لاحترام الإنسان الواجب ، وايلاماً بدنياً منفراً ، لا يتفق مع ما وصلت إليه الإنسانية والمدنية فى عصرنا[1] . إن السارق أو الزانى ضحية من ضحايا المجتمع ينبغى علاجه لا عقابه[2] .

● وهذه اتهامات لا أساس لها من الصحة ، بل تخالف المنطق والواقع ولا يدل عليها دليل ، والأدلة الصحيحة تدحضها وتبطلها ، فالشريعة الإسلامية قبل أن تنفذ العقوبة وتقيمها وضعت من القيود والحدود ما يمنع ارتكابها بحيث لم تترك عذراً لمعتذر ، ولا علة لمن يتعلل بالوقوع فيها ، فإذا وقع بعد ذلك كان هذا دليلاً على عوجه وشذوذه وعدم صلاحيته للبقاء في هذا المجتمع الطاهر ، ولنبين ذلك فى بعض العقوبات :

إن التشريع الإسلامى قبل أن يقيم حد الرجم على الزانى المحصن يسر له كل أسباب النجاة من الوقوع فى الزنا ، فأمره بغض البصر ، ورغبه فى الزواج وأعطاه الحق فى الزواج بأكثر من واحدة بالعدل ، وسمح له بالطلاق عند عدم التوافق ، وحرم عليه الخلوة بامرأة أجنبية ، وبهذا لم يعد له عذر فى الزنا ، فإن زنى أصبح خطراً على المجتمع لا يستحق الحياة فيه فكان عقابه القتل بالرجم ، وإنما كان القتل بالرجم دون غيره ليصحبه الألم وتصاحبه العظة والاعتبار وزجر الآخرين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور:٢].

ثم إن هؤلاء المعترضين على الشريعة يمارسون ذلك وأفظع منه بعيداً عن الشريعة ، فلو وجد أحدهم مع زوجته أو ابنته زانياً فإنه يعجل بقتل الجميع غرقاً أو حرقاً أو تسميماً وأحياناً يقطعون أوصاله ويهشمون عظامه ، ولا يفرقون فى ذلك بين محصن وغير محصن ، ولو أحصيت جرائم القتل التى تقع بسبب الزنا لبلغت نصف جرائم القتل جميعها[٣]، أليس ما شرعه الإسلام أولى وأخف وأرحم ؟ والجلد موافق لطبيعة الزانى ودوافعه ، لأن متعة الشهوة ودواعيها نفسية وجسدية لا ينسيها ولا يصون من تكرارها إلا ألم موجع جسدياً ونفسياً بالجلد ورؤية الناس ، وهذا الذى شرعه الإسلام أخذت به القوانين الوضعية فى غير الزنا اعترافا منها بأنه عقاب رادع ، فهذه إنجلترا والولايات المتحدة وغيرهما من الدول المتحضرة يعتبرون الجلد إحدى العقوبات الأساسية[٤]، فكيف يبيحونه لقوانينهم ويحرمونه على التشريع الإسلامى ، وفى أفظع الجرائم وأفحشها إذا قيست بما يعاقبون بالجلد عليه .

● والتشريع الإسلامى لا يقطع يد السارق إلا بعد توفير كل الوسائل التى تمنع من السرقة ، فقد أوجب على الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء فضلاً عن

الصدقات ، وجعل المرء مسئولاً عن نفقة عياله وأقاربه ، وأمر بصلة الرحم ، وإكرام الضيف ، وجعل الجار مسئولاً عن جيرانه وسلب عنه الإيمان إذا بات شبعاناً وجاره جائع ، وجعل الدولة مسئولة عن رعاية الأفراد بتوفير العمل لمن يستطيعه ، وكفالة العاجز عنه ، وبذلك منع الإسلام كل مبررات السرقة ، فإن وقعت تحقق قبل القطع من توفير كل أسباب الوقاية ، فإن اختل شيء منها ، فلا قطع كما فعل عمر فى عام الرمادة مع غلمان ابن حاطب بن أبى بلتعة[٥]. وإن توفرت سبل الوقاية والبينة أقام الحد ، وتفسير حد السرقة : أن الدافع إليها هو الرغبة فى زيادة الكسب على حساب الآخرين، ومن جهودهم فكان المناسب أن يكون العقاب بالحرمان من ذلك ، وقطع اليد هو الذى يؤدى إلى نقصان الكسب وقلة الدخل ، ونقص القدرة على الإنفاق[٦] وقد نجحت عقوبة السرقة الإسلامية فى تحقيق الأمن والسلام فى البلاد التى طبقتها فى حين لم تنجح القوانين الوضعية فى شيء من ذلك ، وإذا كان فى هذه العقوبات إيلام فإنما ذلك ليحقق الغرض منه وهو الردع والزجر ووقاية المجتمع ، وهل تتصور عقوبة رادعة بلا قسوة ولا إيلام ؟.

● ثم أى العقوبتين أخف قطع اليد أو الرجل وإبقاء جميع البدن أو إزهاق الأرواح بالمئات .والآلاف داخل بلاد هؤلاء المعترضين لأسباب غير معقولة أو لمجرد الخلاف فى الرأى ، وهل قطع يد السارق يشين التشريع الإسلامى ، وذبح الأبرياء فى مشارق الأرض ومغاربها بالنابلم وقنابل الميكروبات حضارة مدنية ؟

لقد أثبتت التجارب أن القوانين الوضعية تضييع للأموال والجهود وإفساد للأخلاق والنفوس وسبب ازدياد الجرائم وجرأة المجرمين ، والإخلال بالأمن وتوهين النظام وذهاب هيبة الحكومة وسطوتها ، وفرض سلطان الأشقياء والمجرمين على السكان الآمنين ، ولا خلاص من هذا كله إلا بالتخلص من القوانين الوضعية وإعادة الأمور إلى نصابها بالشريعة الإسلامية التى تحقق فى ظل تطبيقها سابقاً كل الأمن والسلام حتى غدا المجتمع بريئاً نقياً من الجرائم والعقوبات .

● أليس من الحماقة أن يتهم التشريع الإسلامى بالهمجية والقسوة وهو الذى حقق الأمن والطمأنينة ، فى حين من يتهمونه يطبقون ويمارسون بقوانينهم الوضعية والعرفية أقسى من العقوبات الإسلامية وعلى جرائم أقل فى ميزان المجتمع ومع ذلك لم يحققوا أمناً ولا سلاماً ؟

أتهام العبادات بالتربية على الخضوع والخوف

● حتى العبادات التى شرعت أساساً لتنظيم علاقة المرء بربه - عز وجل - لم تسلم من افتراءات هؤلاء الأفاكين ، فتناولوها بالتجريح . فمن قائل : إن عبادة المسلمين تقوم على الخوف والخضوع وحده ، ولا مجال فيها للحب ، وأن الله فى تصور المسلمين إلٰه قهر وجبروت ، لا إلٰه رحمة وحب ، إلى قائل يقول : إن الغاية من العبادات هى إصلاح النفوس وتربية الضمائر واستقامة الأخلاق ، فإذا وصلنا إلى تحقيق هذه الغاية بوسيلة أخرى فلسنا بحاجة إلى العبادة[٧]، إلى آخر يقول :

إن الإسلام لا يهتم فى العبادات بالقلوب والضمائر ، ولكنه يهتم بالمراسم والأشكال ، وليست الأعمال الجماعية مثل : صلاة الجمعة ، ووقفة عرفات ، وصلاة الأعياد إلا أعمالاً فردية يؤديها المؤمنون فى وقت واحد دون أن تتخذ طابع الاحتفالات الموجهة أو المنظمة وفق تنسيق خاص[٨].

● وهذا كذب واضح ، فنصوص القرآن والسنة ، ومفهوم العبادة الصحيح يظهر أن حب الله - عز وجل - هو مخ العبادة وروحها ، وبدون ذلك الحب لا يكون إيماناً ولا تقبل عبادة ولذلك عادى الإسلام كلاً من الشرك والرياء ، لأنهما يتنافيان مع حب الله ، أو يقسمان المحبة بينه وبين غيره ، وكلاهما يبغضه الله قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلهِ ﴾[٩].

● وقال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »[١٠].. الحديث . وفى هذا يقول ابن تيمية : « فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده وحبه والإنابة إليه ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتى إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة »[١١].

● فانظر كيف حولوا الحب الذى هو جوهر العبادة وأساس الإيمان إلى خوف وخضوع ، ولنفرض أنه خضوع أليس من حق الحبيب على حبيبه أن يخضع

له ويطيعه ، أوليس من حق المنعم المتفضل على عبده أن يستجيب له ويشكره ، ولم يكون ذلك جائزاً فى كل القوانين والنظم ، ولا يجوز فى الإسلام ؟ وأما أن غايتها الإصلاح والتهذيب فهذه تابعة ونتيجة لازمة لأدائها ، أما غايتها الحقيقية فهى طاعة الله عز وجل فهى إذاً غاية فى نفسها ، ولذلك يرد الإسلام عبادة المرائين ويحبطها لأنها ليست خالصة لله - عز وجل - فلم تحقق الغاية منها . ومن هنا فإن كل وسائل الإصلاح الوضعية مهما بلغت أو حققت من الإصلاح فلن تحقق مثل العبادة ولن تغنى عنها . وإذا كانت العبادة لله أفلا يكون من حقه أن يحدد الأسلوب والوسيلة التى نعبده بها ، وهل تكون عبادة بالمعنى الصحيح إذا كنا نحن الذين نصوغها ونحدد أسلوبها ؟

وأما أنها تهتم بالمراسم والأشكال دون القلوب والضمائر فظاهر الكذب والبطلان فأساس العبادة الإخلاص :

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[سورة البينة :٥]

● والإخلاص لا يتحقق إلا بحضور القلب واستحضار النية ، والتوجه بالعمل كله قلباً وقالباً لله رب العالمين ، ولذلك حصر رسول الله ﷺ الأعمال على النيات ، فقال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »[١٢] . فأين المراسم والأشكال من القلوب والنيات والإخلاص ؟

وأما ادعاء الفردية فى الشعائر الجماعية فلا أساس له من الصحة ، وقد يكذبه ما يلمسه الإنسان وهو يؤدى هذه الشعائر : إنه عضو فى صف منتظم وحبة فى عقد منضود يأتم بالإمام يكبر إذا كبر ويؤمن على قوله ، ويدعو للجماعة كلها ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إنهم جميعاً يطلبون العون والهداية ليس لأنفسهم فقط ، ولكن لجميع عباد الله أينما كانوا ،

---

(١) انظر : التشريع الجنائى الإسلامى ص ٣٣٧ ، ٣٥٤ .
(٢) انظر : شبهات حول الإسلام ص ١٥٠ ، شبهات حول تطبيق الشريعة - البوطى ص ٣٦٦ ، وانظر أيضاً : الإسلام عقيدة وشريعة ص ٣٠٢ .
(٣) انظر : التشريع الجنائى الإسلامى ص ٦٤٢ .
(٤) انظر : التشريع الجنائى الإسلامى ص ٦٣٨ .
(٥) انظر : شبهات حول الإسلام ص ١٥٣ .
(٦) التشريع الجنائى ص ٦٥٢ .
(٧) انظر : العبادة فى الإسلام - دكتور يوسف القرضاوى
(٨) انظر : لمحات من الثقافة الإسلامية ص ٢٤٣ .
(٩) سورة البقرة : ١٦٥ .
(١٠) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث ٢٦
(١١) انظر : العبودية لابن تيمية ص ١٠٨ .
(١٢) اللؤلؤ والمرجان . كتاب الإمارة حديث رقم ١٢٤٥

الربا

بقلم
جواد رياض
دراسات عليا - دار العلوم

قال رسول الله ﷺ : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مِثلاً بِمثْل ، ولا تُشِفُوا (أى لا تفضلوا) بعضها على بعض ، ولا تبيعوا الوَرِق (الفضة) بالورق إلا مِثْلاً بمثْل ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا منها غائباً بناجز (حاضر) متفق عليه

* اعلم أن الربويات ستة أجناس :

١- الذهب ٢- الفضة
٣- البُر ٤- الشعير
٥- التمر ٦- الملح

* فلا يجوز أن تبيع أو تشترى جنساً ببعضه إلا متساوياً فى الوزن ، وأن يكون فى الحال :

فإذا بعت مثلاً أو اشتريت ذهباً بذهب فلا يجوز أن تشترى خاتماً ذهباً ١٢ جراماً بخاتم ذهب ١٠ جرامات فهذا من الربا ، كما لا يجوز أن تشترى خاتماً ١٢ جراماً بخاتم ١٢ جراماً إلى أجل ولكن لا بد أن يكون حالاً .

فالذهب بالذهب أو الفضة بالفضة أو البُر بالبر أو التمر بالتمر .. وهكذا لا يجوز إلا إذا كان متحداً فى الوزن وفى الحال .

* أما إذا اختلف الجنس فيجوز أن تشترى الجنس بجنس غيره متفاضلاً (أى بزيادة) ولكن لا بد أيضاً أن يكون ذلك فى الحال إذا كان الجنسان يشتركان فى علة واحدة :

فمثلاً : الذهب والفضة جنسان يشتركان فى علة واحدة (وهى الثمنية) فيجوز أن تبيع الذهب بالفضة متفاضلاً (مثلاً خاتم ذهب بخاتم أو خاتمين أكثر وزناً فضة) ولكن لا يجوز أن يكون إلى أجل ، فلا بد أن يكون حالاً .

* وأما إذا اختلفت العلة واختلف التقدير ، فيجوز حينئذ البيع متفاضلاً والبيع إلى أجل .

فمثلاً : الذهب والفضة يندرجان تحت تقدير واحد ، والأطعمة تندرج تحت تقدير واحد ، فيجوز لك أن تبيع الذهب بالتمر متفاضلاً (جرام واحد ذهب - مثلاً بخمسة أكيال تمر) كما يجوز أن تبيعه إلى أجل وهو ما يعرف بالنسيئة .

أما إذا كنت تريد أن تبيع ذهباً بذهب غير متماثل فى الوزن فيجب عليك بيع الذهب الذى معك أولاً ثم شراء ما تريده من ذهب جديد .

أسئلة القراء

عن الأحاديث

إعداد

الشيخ محمد عمرو

يسأل القارىء / عبد اللطيف عبد الحميد - محافظة سوهاج - مركز جرجا عن حديث نقله من « الأذكار النووية » باب القنوت فى الصبح ، وهو حديث أنس « أن رسول الله ﷺ لم يزل يقنت فى الصبح حتى فارق الدنيا » رواه الحاكم أبو عبد الله فى كتاب « الأربعين » وقال : «حديث صحيح»، ويسأل أيضاً عن حكم القنوت فى صلاة الصبح .

والجواب : أنه حديث منكر - كما قال أخى أبو إسحاق الحوينى حفظه الله فى تحقيق « مجلسان من أمالى الصاحب نظام الملك » (٨) وخرجه أيضاً فى « النافلة » (٢١) وقال : « منكر جداً » أخرجه أحمد (١٦٢/٣)، وابن أبى شيبة (٣١٢/٢) ... إلخ ، من طريق أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس .... فذكره . وعزاه ابن القيم فى « الزاد » (٢٧٥/١) للترمذى ، والنووى فى « الخلاصة » - كما فى «نصب الراية» (١٣٢/٢) للحاكم فى « المستدرك » فوهما . فلم يروه الترمذى أصلاً ، وأما الحاكم فلم يروه فى « المستدرك » بعد البحث والتتبع ثم وجدت الحافظ قال فى «التلخيص» (٢٤٥/١): « وعزاه النووى إلى « المستدرك » للحاكم ، وليس هو فيه ، وإنما أورده وصححه فى جزء له مفرد فى القنوت ، ونقل البيهقى تصحيحه عن الحاكم ، فظن الشيخ أنه فى المستدرك » اهـ .

وهذا الحديث اختلفت فيه أنظار العلماء : فقواه جماعة من أهل العلم : قال البغوى : « قال الحاكم : إسناد هذا الحديث حسن » وقال البيهقى : « قال أبو عبد الله - يعنى الحاكم -: هذا حديث صحيحٌ سنده ، ثقة رواته . والربيع بن أنس تابعى معروف ... » إلخ ، حتى قال : « قلت : وهذا التصحيح عرى من الدليل . أما الحاكم فجعل يطيل الكلام حول الربيع بن أنس ، وما لنا عليه من نقد ، بل هو صدوق فى نفسه ، لا بأس

به ، ولكن قال ابن حبان : « الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبى جعفر عنه ، لأن فى أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً » اهـ. وهذا الحديث منها . وقد تفرد به أبو جعفر الرازى ، واسمه عيسى بن ماهان ،وقد تكلموا فيه طويلاً بما حاصله أنه صدوق سيء الحفظ ، كما قال ابن خراش ، أو « صدوق ليس بالمتقن » كما قال زكريا الساجى . ومعروف أنه سيء الحفظ لا يحسَّن حديثه فضلاً عن أن يصحح لا سيما إذا تفرد به ، بل يُضعف . وقد تفرد به المذكور فهو ضعيف بغير شك ، وروايته عن الربيع فيها اضطراب كثير كما وقع فى كلام ابن حبان . وقد تعقب ابن التركمانى البيهقىَّ فى إقراره تصحيح الحاكم ، بقوله : « كيف يكون سنده صحيحاً وراويه عن الربيع أبو جعفر عيسى بن ماهان الرازى ، متكلم فيه ، وقال ابن حنبل والنسائى : « ليس بالقوى » . وقال أبو زرعة : « يهم كثيراً » . وقال الفلاس : « سيء الحفظ » . وقال ابن حبان : « يحدث بالمناكير عن المشاهير » اهـ . وقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح ، قال أحمد : أبو جعفر الرازى مضطرب الحديث . وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير » اهـ .... وأحيل القارىء على سائر هذا التحقيق ، فإنه نفيس ، لكن المقام لا يتسع إلا لهذا القدر . والحاصل أن اعتبار القنوت فى صلاة الصبح من سننها ، والغلو فى هذا الأمر إلى حد إيجاب سجود السهو لمن نسيه ، وإبطال صلاة من تعمد تركه ، إنما هو أمر لا دليل عليه فيما صح عن النبى ﷺ .

أما بنية النازلة - بدعائها المخصوص الثابت فى الأحاديث وآثار الصحابة - فالقنوت فى الصبح تارة ، وفيه والمغرب أو فيه والظهر والعشاء ، أو فى الخمس صلوات من آكد السنن عن النبى ﷺ ، وعليه المحققون من أهل العلم . وقد تعرضتُ لهذه القضية فى الجزء الثانى من « تبييض الصحيفة » حديث : « قنت فى صلاة الصبح ... » وأبديت تعجبى وأسفى ممن ينكرون كون العالم الإسلامى الآن فى نازلة !

وقد أجاز الشيخ ابن عثيمين حفظه الله فى كتاب له عن الصلاة القنوت فى النازلة لكل من الإمام - مطلقاً - والمنفرد ، فى مقابلة تشدُّد بعض الحنابلة فى شرط الإمام الذى يُشرَعُ له القنوت . والله المستعان .

● ويسأل القارىء / ممدوح حمدان محارب - قنا - قفط - القلعة ، عن

صحة حديث : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ، حيث رآه فى كتاب (السعادة بين الحقيقة والوهم) ، الذى كان هدية المجلة بتاريخ ذى القعدة ١٤١٤ هـ .

فالجواب : أنه حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد (٢/٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥) ومسلم (٨/٢١٠) والترمذى (٢٣٢٤) وابن ماجه (٤١١٣) وابن حبان فى « صحيحه » كما فى « الإحسان » (٦٨٧، ٦٨٨) والبغوى فى « شرح السنة » (٤١٠٤، ٤١٠٥) وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن الحُرَقى عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً به ، نعم ، سُئِل عنه الحافظ الدارقطنى رحمه الله كما فى « علله » (س ١٦٠٢) فأجاب بما محصله أنه مختلف فيه على شعبة عن العلاء رفعاً ووقفاً ، والمترجح من ذلك أنه أوقفه - أو لعله رواه على الوجهين - وأن يحيى الحِمَّانى وهم فى إسناده عن سليمان بن بلال، فجعله عن (سهيل بن أبى صالح عن أبيه) بدلاً من (العلاء عن أبيه) ثم ذكر الراجح عن سليمان ، وسرد جماعة رفعوا الحديث بهذا الإسناد وهذا - بظاهره - يدل على ترجيحه رواية الجماعة خلافاً لشعبة . والله أعلم . وبقيت له طرق فيها مقال ، فرواه الإمام أحمد (٢/١٩٧) وغيره من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، بلفظ : « الدنيا سجن المؤمن وسنته ، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة » . وفيه ضعف وجهالة . وذكره ابن أبى حاتم فى «علل الحديث» (١٩١٧) باللفظ الأول ، بزيادة فيه . ورجح أبوه وقفه . ورواه ابن المبارك فى « الزهد » (٥٩٧) موقوفاً . وفيه أيضاً ضعف وجهالة . ورواه البزار من وجهين عن ابن عمر كما فى «كشف الأستار» (٣٦٤٥)، وتكلم فيهما الهيثمى (١٠/٢٨٩) والخطيب (٦/٤٠١) وغيره من وجه ثالث ضعيف أيضاً .

ورواه الطبرانى (٦١٨٣) والحاكم (٣/٦٠٤) من حديث سلمان بإسناد واهٍ ، وتعقبه الذهبى على تصحيحه .

والحاصل أن العُمدة على حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وحده . وقد صححه - مع مسلم - جماعة من أهل العلم ، كالحافظ البغوى والعلامة الألبانى وغيرهما . فجزاهم الله عن سنة نبيهم ﷺ خير الجزاء .

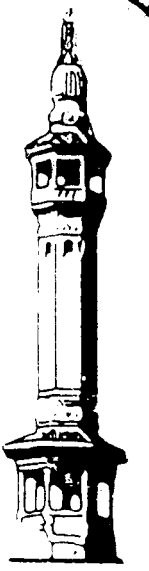

الفتاوى

إعداد

لجنة الفتوى

بالمركز العام

رئيس اللجنة

محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفى

د. جمال المراكبى

يسأل أحد الاخوة عن دعاء الاستفتاح وهل يقرأ فى كل ركعة ؟

والجواب .. دعاء الاستفتاح يقرأ فى الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة .

ففى الصحيح عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتةً ، فقلت : بأبى وأمى يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟

قال : أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب

هل يجوز للمرأة الحائض أن تتيمم إذا عجزت عن الماء ؟ وكيف تتيمم ؟ .

والجواب .. يجب على المرأة الحائض إذا انقضى الحيض أن تتطهر ، ويكون ذلك بأن تغتسل بالماء ، فإن عجزت عن الماء لفقده ، أو لعدم القدرة على استعماله لمرض أو نحوه ، فإنها تتيمم وتصلى .

ولا يقربها زوجها حتى تتطهر بالماء أو بالتيمم قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/٢٢٢] .

والتيمم بالتراب يجزىء عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله لقول الله تعالى :

الأبيض من الدنس . اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد . متفق عليه .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت .

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة/٦] .

وفى البخارى عن عمران بن حصين الخزاعى أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً معتزلاً لم يصل فى القوم .

فقال : « يا فلان ما منعك أن تصلى فى القوم ؟ »

فقال : يا رسول الله أصابتنى جنابة ولا ماء .

قال : « عليك بالصعيد - التراب - فإنه يكفيك » .

أما كيفية التيمم فهى أن يضرب المتيمم التراب بيديه ثم ينفخ فيهما ، ثم يمسح بهما وجهه ثم كفيه كما فى حديث عمار ولا يصح التيمم إلا بنية ، والنية محلها القلب .

س : يسأل هانى السيد زكى - طوخ - القليوبية

يقول : دخلت دورة المياه بدون حذاء - حافى القدمين - هل يصح وضوئى وصلاتى ؟

والجواب .. لا يشترط لدخول الخلاء - دورة المياه - أن يلبس الداخل حذاءً ، وإنما يستحب ذلك لحماية القدمين من النجاسة ، فإن لم يستطع فلا بأس أن يدخل حافياً ، ثم يغسل ما علق بقدميه من نجاسة قبل الوضوء .

وغير صحيح ما يردده بعض العوام من أن من يدخل دورة المياه حافى القدمين لا تصح صلاته ولا تقبل .

وجدير بالذكر أن أرضية دورات المياه الموجودة الآن ليست دائماً نجسة وإنما هى عرضة للنجاسة ، ويكفى فى تطهيرها أن يراق عليها بعض الماء لإزالة عين النجاسة إن كانت ظاهرة ، وقد أمر النبى ﷺ أصحابه بإراقة ذنوب من ماء - دلو - على بول الأعرابى الذى بال فى مسجد النبى ﷺ لتطهير مكان البول .

والله أعلم

الوصية الواجبة

يسأل الأخ زكريا حسان - من دمياط .

عن امرأة ماتت وتركت بنتاً واحدة ، وأولاد ابن مات فى حياتها ، وأولاد بنت ماتت فى حياتها كذلك .

والجواب .. إن الورثة فى هذه المسألة هم :

البنت صاحبة فرض ، وفرضها النصف وأولاد الابن ذكوراً وإناثاً ، يرثون باقى التركة بالتعصيب .

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ، فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ . وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

[النساء : ١١]

وقال النبى ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فلأولى رجل ذكر » متفق عليه .

أما أولاد البنت فليسوا من أصحاب الفرائض ولا العصبات ، وإنما هم من ذوى الأرحام ، وذوو الأرحام لا يرثون فى وجود أصحاب الفروض أو العصبات .

ولكن هؤلاء الأولاد - أولاد البنت التى ماتت فى حياة أمها - يستحقون جزءاً من التركة بالوصية الواجبة ، وهذا القدر هو نصيب أمهم - لو كانت حية - فى حدود ثلث التركة ، طبقاً لقانون الوصية المعمول به فى مصر .

□ ويرجع فى تفصيل ذلك وبيانه بالتحديد لبعض أهل العلم القريبين منك .

لاستخراج الوصية الواجبة يتبع الآتى : -

أولاً : - يتم تقسيم التركة على أساس أن هذه البنت حية وكذلك بالنسبة للابن .

فيكون للابن النصف ، ولكل من البنتين ربع التركة ويعطى هذا الربع لأولاد البنت بالوصية الواجبة .

ثانياً : - يتم تقسيم التركة - الباقى بعد استخراج مبلغ الوصية - بين الورثة وهم البنت وأولاد الابن .

فيكون للبنت النصف فرضاً ولأولاد الابن النصف الباقى تعصيباً .

حكم ما ينزل من الزوج

يسأل م - ع - ف - القاهرة

عن حكم ما ينزل من الزوج أثناء مداعبة زوجته ، وهل يوجب الغسل أم يكفى فيه الوضوء ؟

والجواب .. ما ينزل من الزوج غالباً أثناء مداعبة زوجته سائل

زكاة الحبوب

س : يسأل السيد عاطف قنديل - البحيرة يقول :

نعرف زكاة الحبوب ، ولكن لا نعرف زكاة المحصول الرئيسى وهو القطن ، كيف نزكيه علماً أنه يروى بالآلة ؟

والجواب .. اتفق أهل العلم على وجوب الزكاة فى محاصيل معينة وهى القمح والشعير ، والتمر والزبيب وذلك لما رواه الطبرانى والحاكم والدارقطنى أن النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى : « لا تأخذوا فى الصدقة إلا من هذه الأصناف الأربعة : الشعير والحنطة والزبيب والتمر » قال البيهقى رواته ثقات .

واختلفوا فيما عدا ذلك فمنهم من قال : لا تخرج الزكاة إلا فى هذه الأصناف الأربعة ، وهو مذهب الحسن وسفيان الثورى وابن المبارك وابن حزم الظاهرى ، ورجحه الشوكانى والصنعانى فى سبل السلام .

ومنهم من ذهب إلى قياس غير هذه الأربعة عليها وهو مذهب الأئمة الأربعة عدا أبى حنيفة ، قالوا : الزكاة فى المدخر المقتات من النبات ، ولما روى عن النبى ﷺ : « خذ الحب من الحب » .

ومنهم من ذهب إلى وجوب الزكاة فى كل ما تخرج الأرض ، وهو مذهب أبى حنيفة لعموم قول النبى ﷺ : « فيما سقت السماء العشر ، وفيما سقى بالنضح نصف العشر » والراجح قول الجمهور أن الزكاة تكون فى المقتات من النبات وعلى هذا فالقطن لا زكاة فيه ، أى فى عينه ولكن تخرج الزكاة فى ثمنه إذا بلغ نصاباً وحال عليه الحول .

رقيق يقال له المذى .

وحكمه حكم البول ، يجب غسله من الثوب والبدن إذا أصابهما ، ويكفى الإنسان أن يتوضأ منه .

وفى الصحيح عن على ابن أبى طالب قال : كنت رجلاً مذاءً - يعنى كثير المذى - فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته منى . فأمرت المقداد أن يسأل النبى ﷺ ، فسأله ، فقال : « فيه الوضوء » .

وفى رواية « توضأ واغسل ذكرك » .

وربما يكون ما ينزل من الزوج منياً ، وهو الماء الدافق ويجب فيه الغسل ، فوجب التنبه لذلك . والله أعلم .

الاحتفال بوفاء النيل بإلقاء عروس فيه ليس من الدين فى شئ

١ – وأد البنات عادة جاهلية لدفع العار وخشية الفقر وقد أبطلها الإسلام .

٢ – العودة إلى الاحتفال بزفاف عروس النيل ارتداد إلى جاهلية عمياء ، لا تفريق فيها بين الحلال والحرام .

نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨١/٨/٦ فى باب المرأة تحت عنوان : لأول مرة منذ آلاف السنين (مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل ، وعودة الاحتفالات بوفاء النيل بعد توقفها ١٢ عاماً) ما خلاصته :

إن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء فى مصر ، ويلبسونها أفخر الثياب ويزينوها بأغلى الحلى ، ثم يسيرون بها فى موكب بحرى كبير فى النيل ، ويلقونها فى الماء ليتزوجها النهر الخالد إرضاء له وشكراً على فيضانه ، وعندما جاء العرب استبدلوا العروسة البشرية بتمثال لعروس النيل ، وفى هذا العام يتخذ الاحتفال مظهراً أكثر حيوية ، ويفتح المجال أمام الفتيات من سن ١٥ إلى ٢٥ للاشتراك فى مسابقة ملكة جمال النيل أمام لجنة التحكيم التى ستنعقد لاختيارها ، وأن العروس الفائزة بلقب ملكة جمال النيل ستنطلق يوم ٢٤ أغسطس الجارى من أمام الميرديان فى موكب داخل مركب فرعونى ، ثم مركب بها ٤٠٠ أربعمائة مدعو من مختلف الهيئات الدبلوماسية ، ومن ورائهم ٥٠ خمسون مركباً شراعياً . حيث يسير هذا الموكب من فندق الميرديان إلى كوبرى قصر النيل ، حيث يتوقف الموكب وتبدأ المراسم المتبعة فى ذلك ، ويلقى محافظ القاهرة الوثيقة ، وتطلق الصواريخ وتقفز العروس فى النيل . وقيد الموضوع برقم ٢٧٥ سنة ١٩٨١ :

ورداً على ما نشر :

فقد أصدر صاحب الفضيلة مفتى جمهورية مصر العربية الشيخ جاد الحق على جاد الحق . بياناً فى مقال نشرته جريدة الأهرام بتاريخ ٩ شوال ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١/٨/٩ نقداً لهذا الاتجاه تحت عنوان : (أوقفوا اليوم فوراً هذا العبث

(*) المفتى : فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق – س ١١٥ – م ١٤٧ – ص ١٨٧ – ١٢ شوال ١٤٠١ هـ – ١٢ أغسطس ١٩٨١ م .

باسم وفاء النيل) ونصه الآتى : كان للأمم الغابرة عادات يرونها وحسب معتقداتهم من لوازمهم ، ولقد جرت بعض قبائل العرب فى الجاهلية على وأد البنات ، إما للفقر أو خشية عارهن إذا انحرفت بهن الحياة أو انحرافن بها ، وجاء الإسلام وقال لهم القرآن : [1] ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ فخشعت قلوبهم لما نزل من الحق ، وارتفع القران بحواء وأبان مكانتها . أما وزوجاً وبنتاً وأختاً ، وكشف عن واقعها فى الحياة ، فلها ذمتها ولها حركة حياتها فى نطاق النظام العام الإسلامى ولم يكن العرب وحدهم هم وأدة البنات ، بل شاركهم فى ذلك المصريون القدماء ، فقد روى التاريخ أن المصريين كانوا يحتفلون بيوم وفاء النيل فى شهر توت أو مسرى كل عام ، وقد كان هذا الحفل ينتهى بإلقاء عروس النيل – أى والله عروس – فتاة من بنى الإنسان يلقون بها فى النهر وقت فيضانه ، فى أمواجه الهادرة فى غرينه وطميه ، عقيدة منهم أن النهر يرضى عنهم إذا زوجوه تلك العروس ، فيفيض دائماً ولا يغيض !! ولما دخلت مصر فى الإسلام ، وارتفع فى سمائها نداؤه ودعاؤه ، وعلمت أن الله وحده هو واهب النيل إلى مصر ، وهو سبحانه الذى فجر هذا النهر ، حتى فاضت جنباته عيوناً من الأرض وأنهاراً من السماء ، أوقف حاكم مصر المسلم وأد البنات فيها ، وأجرى فيها حكم الله ، وتلا عليهم قوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ وأعلمهم بأن الله سبحانه هو صاحب هذه النعمة ، نعمة هذا النهر الجارى بإذنه وأمره حتى شق الفيافى والقفار ، واجتاز بلاداً وحدوداً ليروى كنانة الله فى أرضه ، مصر ، ويهبها الحياة ، واستبدل عروسهم التى يئدونها فى النيل ، بكلمة الله ألقاها فى مياهه التى فاضت ، وقال : أيها النيل إن كنت تجرى باسم الله ومن الله ، فإن الله مجريك ، وإن كنت لا تجرى إلا بهذه العروس فلا تجرى ، لأن الله مرسل الرياح ومجرى السحاب قال جل شأنه[1] ﴿ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً ﴾ وقال أيضاً[2] ﴿ وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ فهل يجوز بعدٌ أن مضى على أوْد هذه العادة المصرية الجاهلية قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان أن نعود إليها ونخالف حكم الله ، فقد طالعت قبل أيام خبراً يتحدث عن النية إلى إقامة مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل ، وعودة الاحتفالات بوفاء النيل بعد توقفها ١٢ عاماً ، يا هول هذا الخبر وما حواه من استعراض لأجساد فتياتنا من سن ١٥ إلى ٢٥ ، أعودٌ إلى سوق النخاسة والرقيق الأبيض ؟ وهذا المهرجان يدعو إلى حفل زفاف عروس النيل الذى تشهده

الدولة رسمياً وتنظمه . بل وتدعو إليه الهيئات الدبلوماسية فى مصر . مصر الإسلام ، مصر الأزهر ، مصر التى وضعها العالم رائدة وقائدة للعرب والمسلمين ، ترتد إلى جاهلية عمياء ، لا تفرق فيها بين الحلال والحرام أى وثيقة هذه التى يلقيها المسئول الكبير فى النيل مع العروس التى اشترط أن تجيد السباحة وأن تلتقطها فرق الإنقاذ ، أى خدش . وأى إهانة للأنثى التى كرمها الله وحرم وأدها ، بل وحرم لمسها لغير محارمها أو زوجها . أى وثيقة تلك وماذا تحوى ؟ هل تحوى جريان النيل باسم الله وبلوغ مياه الفيضان القدر المقرر لتحصيل الضرائب إظهاراً للعدل فى الرعية وشكراً لنعماء الله ؟ أو تحوى تزويج هذه العروس للنيل والعودة إلى وثيقة محاها الإسلام ؟ ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٣] إلى المسئولين عن تنظيم هذا المهرجان أسوق الحديث . إن مصر لا تروج فيها هذه المهرجانات ، ولا ينبغى أن تقام فيها – أيها المسئولون جميعاً أوجه الرجاء والنداء . أوقفوا هذه المهازل . إنا ندعو المسئولين جميعاً بالتدخل لوقف هذه المهرجانات الفاسدة . والله يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

هذا : وقد نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٨/١٠ فى باب أخبار الصباح ما يلى : عزيز قاسم مدير عام الميرديان بالقاهرة ألغى مسابقة وفاء النيل . كما نشرت جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٨/١٠ ما يلى : الميرديان يلغى المسابقة ويعتذر لـ ٧٠ فتاة .

قال بَعضُهم : فَكِّر فى ذَنْبِكَ ، وتُبْ إلى رَبك ، يَنْبُتُ الوَرَعُ فى قلبك ، واقْطَع الطمعَ إلا من رَبكَ ، ذَمَّ مَوْلانا الدنيا فمدَحْناها ، وأبغَضَهَا فأحْبَبْنَاهَا ، وزهَّدَنا فيها فَآثَرْنَاهَا ، ورَغِبْنَا فى طلبها ، دَعَتكُم إلى هذه الغَرارة دَوَاعِيها فأجَبْتُم مُسرعين مُناديها خَدَعَتكم بِغُرورها تتمرغُونَ فى زهَرَاتها وزَخَارِفها ، قَالَ الله جل وعلا : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

أتى الحسن بكوز من ماء لِيُفْطِرَ عليه فلما أدناه إلى فيه بكى وقال ذكرت أمنية أهل النار قولهم : ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ وذكرت ما أجيبوا به ﴿ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقال كعب الأحبار : لأن أبكى من خشية الله فتسيل دموعى على وجنتى أحب إلى من أتصدق بوزنى ذهباً .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : كنا إذا خرجنا مع الفضيل فى جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكى حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهبٌ إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر .

لمحات من شخصية

بقلم الأستاذ
سعد صادق محمد

الشيخ رشاد سليمان محمد (رحمه الله)

● نشرت مجلة التوحيد فى عدد صفر ١٤١٤هـ نعياً موجزاً للشيخ رشاد سليمان محمد بعد يومين من وفاته .

ولما كان الشيخ الراحل لا تفى تلكم السطور القليلة التى نشرنا ، بحياته وجهاده ، فقد رأينا أن نتناول هنا ملامح عن شخصيته وحياته وجهاده فى سبيل الدعوة إلى الله بشكل موسع مع اقتناعنا بأن هذه السطور التى تحمل هذه الملامح لا تفى أيضاً بما قدم من وقته الطويل ، وعلمه الغزير فى سبيل نشر دعوة التوحيد ، والدفاع عن معتقداته السلفية .

● لقد ذخرت جماعة أنصار السنة المحمدية بكثير من الرجال الذين التفوا حول رائد الجماعة ومؤسسها الشيخ محمد حامد الفقى « رحمه الله » ، وتعاونوا معه لإحياء السنة المحمدية فى مصر ، وكان الشيخ رشاد سليمان محمد واحداً من هؤلاء الرجال .. انضم إلى الجماعة فى أواخر الثلاثينيات ، ما بين عامى ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، وكان قدره أن يكون بين جماعة أنصار السنة على يد الشيخ محمد سليمان حسونة « رحمه الله » ، إذ كان الاثنان يجمعهما سكن واحد ، بحكم قرابتهما ، وانتمائهما لبلاد النوبة ، وبلانة بالذات ، وأخذ الشيخ رشاد سليمان يتردد على مركز الجماعة حين كان مقره بحارة الدمالشة ، ثم بعد انتقاله إلى شارع قولة « المبنى القديم » .. كان الشيخ رشاد سليمان يتردد على أنصار السنة مع الشيخ حسونة ، ولم تمض سنوات قليلة حتى لمع اسم الشيخ رشاد بين الأنصار وبعد أن كان الشيخ رشاد سليمان تلميذاً للشيخ حسونة ، تحول التلميذ إلى استاذ متفوق على أستاذه ، بل وعلى من كانوا فى عصره فى ذلك الوقت .

● ولقد كان الشيخ رشاد لا يحمل إلا شهادة « البكالوريا » الثانوية الآن ، إلا أنه وصل بعلمه ومعارفه إلى مرحلة يقف بها مع حملة الشهادات العليا ..

كان يجلس مع إخوانه أنصار السنة يعطيهم ويعلمهم ، فما رأيناه خطيباً من خطباء أنصار السنة ، ولا متحدثاً فى محاضراتها ، ولكنه أفاد إخوانه من الأنصار ، وغيرهم من طلاب العلم الصحيح أكثر مما أفادهم الخطباء والمتحدثون ، وقد وصل إلى هذه المرحلة العظيمة بفضل ما كان

يتمتع به من قراءات متميزة ، وذكاء مفرط ، وبصيرة نافذة واعية ، وحافظة نادرة ، كان يقرأ كل ما تخرجه المطابع ، وبخاصة مطبعة السنة المحمدية من العلوم ، والثقافات ، وكان الجالس معه يدرك خبرته بالأساليب ، وبما يصح وما لا يصح من العبارات فيما يعرض عليه مقالات أو بحوث تحتاج إلى تصحيح .

● وفي فترة عمله بمجلة الهدى النبوى – حين كانت بإدارة أنصار السنة – كتب عدة مقالات فيها اجتهاد ، وعمق ، وذكاء ، وفطنة ، يتناول فيها موضوعات لا يطرقها ألا من له خبرة بالكتابة ، مما أهله هذا لأن يحبه الشيخ محمد حامد الفقى « رحمه الله » ويقربه إليه ، ويقدره ، وكان بعده أمين سره ، لأنه كان أفهم الناس للشيخ حامد ، وطريقته فى الدعوة والبحث ، ومما امتاز به ، قدرته الفائقة على تلخيص ما يكتبه الشيخ حامد من مقالات ، أو يلقيه من دورس .. يقول أحد معاصريه : إنه يذكر أن الشيخ محمود شلتوت « رحمه الله » ، وهو من هو فى مجال الدعوة السلفية ألقى محاضرة فى جماعة أنصار السنة المحمدية فى الوقت الذى اشتعلت فيه المظاهرات ضد الاحتلال الإنجليزى لقاعدة قنال السويس : وكان عنوان المحاضرة « الإسلام والوطنية » وكانت محاضرة جيدة ، أقبل الناس عليها – كما حياه الشيخ محمد حامد الفقى تحية كبيرة .. ثم نفاجأ بعد ذلك أن الشيخ رشاد سليمان يلخص هذه المحاضرة تلخيصاً جيداً ورائعاً فى مقال نشرته مجلة الهدى النبوى آنذاك بنفس العنوان ، حتى أنى سمعت الشيخ محمود شلتوت يذكر للشيخ حامد ، « وكانا رجلين متحابين فى الله » أن رجلاً صديقاً له من إنجلترا اتصل به وذكرته أنه قرأ مقالة « الإسلام والوطنية » بالمجلة ، ويريد الحصول على نسخة من العدد ، فاتصل الشيخ حامد بالشيخ شلتوت ، وذكر له عمل الشيخ رشاد فى المقال ، كما ذكر له مكانة الشيخ الراحل فى الدعوة وتقديره لعلمه ، ومحبته له ، مما دفع بالشيخ شلتوت إلى طلب مقابلته ، فأثنى عليه ثناء كبيراً .

ومما يحسب للشيخ رشاد « رحمه الله » عمله الجيد ، وتصرفه الحسن ، فيما كانت تأتيه من المقالات من بعض الإخوة ، والتى يثيرون فيها أحاديث مثل « هل سحر رسول الله » واحتساب الركوع فى الصلاة ، وأحاديث الذبابة فكان ينشر هذه الموضوعات – ما يرد إليه من مقالات فيها ، وتعليقات عليها ، وكانت بعض المقالات تأخذ طابع الحدة فى عباراتها ، فكان يتولى تخفيفها ، لكى لا تتحول المناقشات إلى ساحة سباب بالمجلة ، ثم إلى قطيعة ، ثم كان يغلق باب المناقشات بما عرف عنه من الفطنة والذكاء ، والمخارج اللطيفة ، وحسن التصرف .

● فعلى سبيل المثال أنهى المناقشة فى حديث الذبابة بقوله : « حديث الذباب حديث صحيح ، ولكن عندما تعاف نفس إنسان أن يفعل ما قاله أو فعله الرسول ﷺ فيه ، فلا حرج ، فصحة الحديث شىء، وتطبيقه شىء آخر .. فهذا الحديث مثل حديث « لعق الأصابع » ، فهو حديث صحيح ، ولكن هل إذا لم تلعق أصابعك تكون قد أثمت ؟. لا ولكن تأثم عندما ترد الحديث وتكذبه ..

وهكذا كان يفعل فيما يرد إليه من مقالات تثير هذه الموضوعات .

وعندما انتهت مدة خدمته بالحكومة بعد عام ١٩٥٩ بعد وفاة رائد الجماعة الشيخ محمد حامد الفقى « رحمه الله » بقليل ، قرر السفر إلى بلدته « بلانة » للإقامة هناك مع أسرته وعشيرته ، ليكن له هناك مركز للدعوة الإسلامية ، يدعو فيه إلى الله تعالى ، ولكنه مع حياته فى بلدته بلاد النوبة لم يقطع نفسه عن الجماعة ، بل كان على صلة دائمة بها ، يسأل عنها ، ويطمئن على أمورها ، ويمدها بمقالاته الجيدة - وكان آخرها ما تناول فيها الحديث عن « مفردات غريب القرآن » يوضح فيها الآيات التى تتضمن الفاظاً غريبة ، على نحو ما فعله الشيخ محمد حسنين مخلوف .

● لم يترك « رحمه الله » للمكتبة الإسلامية غير كتاب واحد هو « التوحيد الخالص » لأنه تفرغ لمجلة الهدى النبوى ، ولمراجعة مقالات وكتابات الشيخ حامد الفقى وكان آخر عمل أتم الكتابة فيه بمجلة التوحيد هو « الخطب المنبرية » حيث كانت تحتوى على موضوعات مختلفة ، فى مناسبات مختلفة ، أفرغ فيها كل ما أنعم الله عليه من العلم والثقافة النافعة النابضة بعاطفته الصادقة ، وعمق تعبيراته ، حتى نالت إعجاب الكثير من إخواننا أنصار السنة المتطلعين إلى اعتلاء المنابر .. يقرءون هذه الخطب ، ويحفظونها جيداً ، ثم يتحولون بها إلى دعاة ، فكان الرجل « رحمه الله » معهد دعاة عن طريق مجلة التوحيد .. والأمل كبير فى أن يتولى أو يأمر فضله الشيخ صفوت نور الدين ، وفضيلة الشيخ صفوت الشوادفي بطبع هذه الخطب فى كتاب يتعلم منه دعاة التوحيد ، ويتخذون منها مادة لخطبهم المنبرية ، فهى خير زاد لهم فى هذا الميدان الهام .

رحم الله الشيخ رشاد سليمان محمد ، وعوض أنصار السنة المحمدية ، ومحبى دعوة التوحيد عنه خيراً .. وأثابه مثوبة عظيمة بما قدم للإسلام من خدمات جليلة ، وللمسلمين من علم نافع ..

سعد صادق محمد

عضو جماعة أنصار السنة

تُحَدِّثُنى الآمالُ وهى كَذُوْبَةٌ ... تُبَدِّلُ فى تَحْدِيْثِهَا وتُحَرِّفُ

بأنى فى الدنيا أَقَضى مآربى ... وبَعْدُ يحَقُّ الزُهْدُ لى والتقشفُ

وتِلْكَ أمانى لا حَقِيقَةَ عِندَهَا ... أفى فِرَقِ الضِدِيْنِ يُبْغَى التَّألُفُ

وقال محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه لابنه : يا بنى إيَّاك والضجَرَ والكَسَلَ فإنهما مفتاحُ كلِّ شَر إنك إن كَسِلْتَ لم تؤد حقاً ، وإن ضَجِرْتَ لم تصبر على حق .

وقال : ما من عبادة أفْضَلُ من عفَّةِ بطن أو فرج ، وما من شىء أحب إلى الله عز وجل من أن يُسْأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسْرَعَ الخير ثَواباً البِر ، وأسرع الشر عقوبة البغى .

ظلمات التنوير وضلالات التجديد

بقلم

سيد بن عباس الجليمي

دأب أعداء الدين على نشر ظلماتهم المموّهة وتصوير المفسدين على أنهم زعماء الإصلاح وقادة التنوير وقمم التقدم والحضارة ، وإبرازهم فى أجهزة الإعلام وإلقاء الأضواء عليهم تغريراً للشباب وهدماً للقيم والأخلاق الدينية .

ومن الكتّاب المفسدين فى الأرض : المدعو سلامة موسى ، حيث يعرض فى كتابه بغضه وحسده للإسلام والمسلمين ، فكتابه (اليوم والغد) ملىء بعداوته الشديدة للدين وكتابه يلتقى مع كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) لطه حسين ، في كثير من وجهات النظر - خاصة في اتباع الأوربيين - لكن سلامة موسى يعرض آراءه فى صراحة عالية ، وقحّة منقطعة النظير ، لا يبالى سخط الناس أو رضاهم ، بل لعله يقصد إلى إسخاطهم ويلتذ به ، أما طه حسين فهو يدور حول أهدافه ويعبر عنها فى دهاء محاولاً إقناع الناس وكسب رضائهم ، سالكاً لذلك أحب السبل إلى نفوسهم وأقربها إلى قلوبهم ، كمن يدس السم فى العسل .

أما الخبيث سلامة موسى فهدفه واضح وقد ذكره في مقدمة كتابه فقال : « كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامى أغراضى فى الأدب كما أزاوله ، فهى تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا[1] فإنى كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له وشعورى بأنه غريب عنى ، وكلما زادت معرفتى بأوربا زاد حبى لها وتعلقى بها ، وزاد شعورى بأنها منى وأنا منها ، هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سراً وجهرة ، فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب » .

ويضرب الخبيث أمثالاً لهدفه فهو يريد حرية المرأة كما يفهما الأوربي ، ويريد من التعليم أن يكون تعليماً أوربياً لا سلطان للدين عليه ، ولا دخول له فيه بل يهاجم الدين فى أكثر من موضع من كتابه حتى ليخيل إليك أنه لا يبغض فى هذه الشرقية التى يهاجمها إلا الدين .

وسنرى فى العدد القادم إن شاء الله أقواله الشنيعة عن الدين والتدين .

(١) مصر ليست جزءًا من آسيا ، وسلامة موسى يقصد الخروج من التفكير الأسيوى أو بعبارة أخرى من الدين الذي جاءنا من آسيا وهو الإسلام .

عدم قبول خبر الآحاد في العقيدة

سيد بن عباس الجليمي

فقد ظهر عند بعض علماء الكلام منذ قرون طويلة قول باطل ورأى خطير ألا وهو : إن خبر الآحاد ليس بحجة فى العقائد الإسلامية وإن كان حجة فى الأحكام الشرعية ، وقد أخذ بهذا الرأى عدد من علماء الأصول المتأخرين ، وتبناه حديثاً طائفة من الكتاب والدعاة ، حتى صار أمراً بديهياً لا يحتمل البحث والنقاش عندهم .

وهذا القول مبتدع محدث ، لا أصل له فى الشريعة الإسلامية ، وهو غريب عن هدى القرآن وتوجيهات السنة ، ولم يعرفه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم ، ولم ينقل عن أحد منهم ، بل ولا خطر لهم على بال ، لأنه قول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة .

زد على ذلك أن هذا القول الشاذ يتضمن عقيدة في نفسه تستلزم ردّ مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبى ﷺ لمجرد كونها في العقيدة ، فلو خاطبناهم بما يعتقدونه وقلنا لهم : أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعى الثبوت قطعى الدلالة بحيث إنه لا يحتمل التأويل ؟ وهيهات أن يجدوا جواباً ، بل هى شبهات مردودة على قائلها .

وإذا كان من الواجب قبول قول المحدّث الواحد عن حديثٍ : إنه متواتر – وهو يستلزم الأخذ به فى العقيدة – فكذلك يجب الأخذ بحديث كل محدث ثقة ، وإثبات العقيدة به ولا فرق .

وهناك أمر هام ، وهو أن التفريق بين العقيدة والأحكام العملية ، وإيجاب الأخذ بحديث الآحاد فى هذه دون تلك ، إنما بنى على أساس أن العقيدة لا يقترن معها عمل ، والأحكام العملية لا يقترن معها عقيدة ، وكلا الأمرين باطل ، فالمطلوب فى المسائل العملية أمران : العلم والعمل ، والمطلوب فى العلميات العلم والعمل أيضاً (وهو حب القلب للحق الذى دلت عليه وتضمنته ، وبغضه للباطل الذى يخالفها) فالمسائل العلمية عملية ، والمسائل العملية علمية ، فإن الشارع لم يكتف من المكلفين فى العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا فى العلميات بمجرد العلم ، دون العمل .

وأصحاب هذا القول الباطل بنوا قولهم على أن خبر الآحاد يفيد الظن ، وقولهم هذا – أيضاً – غير سديد ، بل خبر الآحاد الثابت يفيد العلم ، كما بُيّن فى غير موضع .

(ونكمل إن شاء الله
فى العدد القادم)

الخمر أم البلاء

بقلم
د . فايز حسان
أستاذ كلية طب القاهرة

العجيب والغريب والتعقيب

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [٥٩].

أما العجيب

أولاً :

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢١٩].

وقال سبحانه وتعالى فى سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُّنتَهُونَ ﴾ [٩٠ ، ٩١] .

ثانياً :

قال رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف :

« لعن الله شارب الخمر وساقيها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها

والمحمولة إليه »[1].

ثالثاً :

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال :

(إنه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل ، والخمر ما خامر العقل)[2].

رابعاً :

قال نبى الله عيسى عليه السلام فى الإنجيل :

(وكلم الرب هارون قائلاً خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك لكى لاتموتوا) [سفر لاويين ١٠ - آية ٨] .

وقال عليه السلام :

(والآن فاحذرى ولا تشربى خمراً ولا مسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً) [قضاه ١٣ - آية ٤] .

وقال عليه السلام :

(اسمع أنت يا ابنى وكن حكيماً وارشد قلبك فى الطريق ولا تكن بين شريبى الخمر بين المتلفين أجسادهم لأن السكير والمسرف يفتقران) [أمثال ٢٣ - آية ١٨] .

وقال عليه السلام :

(لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل فى فمى خمر) [دانيال ١٠ - آية ٣] .

وقال عليه السلام :

(لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب) [لوقا ١- آية ١٥].

خامساً :

قال الصابونى فى كتابه تفسير آيات الأحكام : قال بعض أطباء ألمانيا « اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات ، والبيمارستانات (مستشفى الأمراض العقلية) والسجون » .

سادساً :

ينص دستور جمهورية مصر العربية على المواد الآتية :

مادة (٢) : الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع .

مادة (٩) : الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية ، وتحرص الدولة على الحفاظ على الطابع الأصيل للأسرة المصرية وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد ، مع تأكيد هذا الطابع وتنميته فى العلاقات داخل المجتمع المصرى .

مادة (١٢) : يلتزم المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها ، والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة ، وعليه مراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والقيم الخلقية

والوطنية ، والتراث التاريخى للشعب ، والحقائق العلمية ، والسلوك الاشتراكى ، والآداب العامة ، وذلك فى حدود القانون . وتلتزم الدولة باتباع هذه المبادىء والتمكين لها .

مادة (١٩) : التربية الدينية مادة أساسية فى مناهج التعليم العام .

مادة (٢٣) : ينظم الاقتصاد القومى وفقاً لخطة تنمية شاملة تكفل زيادة الدخل القومى ، وعدالة التوزيع ، ورفع مستوى المعيشة ، والقضاء على البطالة ، وزيادة فرص العمل ، وربط الأجر بالإنتاج ، وضمان حد أدنى للأجور ، ووضع حد أعلى يكفل تقريب الفروق بين الدخول .

مادة (٢٥) : لكل مواطن نصيب من الناتج القومى يحدده القانون بمراعاة عمله أو ملكيته غير المستغلة .

مادة (٢٦) : للعاملين نصيب فى إدارة المشروعات وفى أرباحها ، ويلتزمون بتنمية الإنتاج وتنفيذ الخطة فى وحداتهم الإنتاجية وفقاً للقانون ، والمحافظة على أدوات الإنتاج واجب وطنى .

مادة (٣٠) : الملكية العامة هى ملكية الشعب ، وتتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام ويقود القطاع العام التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .

مادة (٣٣) : للملكية العامة حرمة ، وحمايتها ودعمها واجب على كل مواطن وفقاً للقانون ، باعتبارها سنداً لقوة الوطن وأساساً للنظام الاشتراكى ومصدراً لرفاهية الشعب .

مادة (٥٧) : كل اعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التى يكفلها الدستور والقانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم ، وتكفل الدولة تعويضاً عادلاً لمن وقع عليه الاعتداء .

والعجيب هنا هذا التطابق السداسى والتوافق التام بين قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم وما قاله رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف وما قاله نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام وما قاله أحد الخلفاء الراشدين رضى الله عنه وأرضاه وما قاله أهل الذكر من الحكماء وما قاله أعضاء مجلس التشريع فى مصر فى الدستور .

والغريب

أولاً :

يمتلك الشعب المصرى

جميعاً شركتان كبيرتان من شركات القطاع العام يقوم العاملون فيها بتصنيع الخمور من الشعير والعنب وهما شركة الأهرام للمشروبات بالجيزة وشركة الكروم بالإسكندرية . وعماهما وإدارتهما مطالبون بتنمية الإنتاج وزيادته كأحد مصادر الدخل القومى باعتبارهما سنداً من مساند قوة الوطن ومصدراً لرفاهية الشعب .

ثانياً :

يتم توزيع إنتاج هاتين الشركتين على جميع أنحاء الجمهورية لبيعها وتقديمها للمسلمين وغير المسلمين فى الفنادق والمحال العامة وبعض المطاعم والكازينوهات والأكشاك . كما يتم تصدير بعض منتجاتها إلى بعض الدول الأجنبية مع الاعتزاز بما كتب عليها (صنع فى مصر) (MADE IN EGYPT).

ثالثاً :

ثبت علمياً أن الخمور هى السبب الرئيسى فى الكثير من الأمراض كتليف الكبد وضمور اللثة بالإضافة إلى أنها تسبب الكثير من حوادث الطرق بل والقتل أحياناً .

رابعاً :

محظور بيع أو تناول الخمور للمسلمين فى بعض الأيام خلال العام مثل شهر رمضان المعظم والأعياد والمواسم الإسلامية .

خامساً :

يحترم الأجانب (السياح) التقاليد المصرية الإسلامية ولا يشربون الخمر فى المناسبات التى يمنع تقديمها فيها ولا يتزمرون أو يحسون بشىء من الضيق وذلك كما جاء على حال لسان بعض المرشدين السياحيين العاملين بقطاع السياحة حينما كانوا يجيبون على استفسارات السياح عن سبب عدم توافر الخمور فى هذه الأوقات ، ولم يقف السؤال عند هذا الحد بل كان يزداد بالاستفسار عن سبب التحريم فى الإسلام .

سادساً :

لا يجوز استيراد الخمور إلا بعد الحصول على ترخيص رسمى من الحكومة ومن يخالف هذه التعليمات يعرض نفسه إما لمصادرة البضاعة أو دفع غرامة مالية . كما لا يجوز لأى محل أو فندق تقديم الخمور إلا بعد الحصول على ترخيص رسمى بذلك .

سابعاً :

إن حصيلة الرسوم الجمركية وكذلك الضرائب فى جميع مراحل التعامل المختلفة فى مجال الخمر تدخل فى الميزانية العامة للدولة.

أولاً :

قول الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٨٥].

وقوله تعالى فى سورة الصف :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [٢،٣] .

وقوله تعالى فى سورة التوبة :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة الجاثية :

﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة المائدة :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة التوبة :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ .

ثانياً :

ستحل البركة إن شاء الله سبحانه وتعالى بتغيير إنتاج شركات الخمور إلى إنتاج المشروبات التى أحلها الله سبحانه وتعالى وأوقفت إنتاج الخمور التى حرمها الله سبحانه وتعالى ولعنها الأنبياء والخلفاء الراشدون وأوضح خطورتها أهل الاختصاص حتى العلماء الغربيين، وذلك حفاظاً على الدستور الذى قرر فى أكثر من مادة أن مبادىء الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .

خير الختام قول الله سبحانه وتعالى فى سورة ق :

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) ﴾ .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم وحسبى الله ونعم الوكيل وعلى الله قصد السبيل والله ولى التوفيق .

رمضان ١٤١٢هـ

الدكتور / فايز حسان
أستاذ بكلية طب الفم والأسنان
جامعة القاهرة

(١) **صحيح** . أخرجه أبو داود (٣٦٧٤) ، وابن ماجه (٣٣٨٠) وغيرهما من حديث ابن عمر ، وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي (١٣٩٥) ، وابن ماجه (٣٣٨١) ، وفى الباب عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، وانظر الإرواء (رقم ١٥٢٩) ، وجامع الأصول (رقم ٣١٣١ ، ٣١٣٢) .

(٢) **متفق عليه** . أخرجه البخارى (٤٦١٩) ، ومسلم (٢٠٣٢) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

بقلم
ا . د عصام لطفى حرشى

كلية طب الزقازيق

الفشل الكلوى

● الفشل الكلوى هو قصور فى وظائف الكليتين ينتج عن زيادة فى نسبة المواد الضارة بالدم وينقسم إلى نوعين : فشل كلوى حاد وفشل كلوى مزمن .

أولاً : الفشل الكلوى الحاد

● وأسبابه عديدة وهى :

أسباب خارج الجهاز البولى وتشمل النزيف الشديد والحرق الشديد وبعض العمليات والتخدير وفقد السوائل الشديد من خلال القيئ والإسهال خصوصاً للأطفال ، ويشمل أيضاً جلطات الشريان التاجى الحادة ونوبات تكسير كرات الدم الحمراء ونقل دم غير متوافق .

وأسباب أخرى نتيجة أمراض فى الجهاز البولى ويشمل أمراض بالكليتين منها : استمرار الأسباب الخارجة عن الجهاز البولى فترة طويلة وبعض السموم الخارجية كالزئبق والبزموت والسلفا وبعض المسكنات ، وسموم داخلية من تسمم الحمل والفشل الكبدى وغيبوبة السكر ويوجد أسباب أخرى بالكليتين مثل الالتهابات الحادة والشديدة الميكروبية والمناعية للكليتين وارتفاع الضغط العالى خاصة النوع السرطانى .

●أما بقية أسباب الفشل الكلوى الحاد من الجهاز البولى فتشمل حصوات الحالب أو الحالبين .

أعراض الفشل الكلوى الحاد :

● وتشتمل على انخفاض شديد فى كمية البول اليومية وغالباً تقل عن ٤٠٠ سم^3 وفى بعض الحالات لا يوجد بول

نهائياً ، وتلك لو كان السبب من الحصوات التى بالحالب ، ويكون لون البول غامقاً وكثافة النوعين منخفضة وثابتة .

كما يوجد أعراض زيادة السوائل بالدم لعدم خروجها عن طريق البول وتشتمل على الصداع والورم بالقدمين والساقين واحتقان أوردة الرقبة والقيىء والتشنجات العصبية مع عدم القدرة على الإدراك السليم ، وتنتج أيضاً زيادة فى عنصر البوتاسيوم بالدم الذى يؤدى إلى ارتخاء بالعضلات وضعف بها مع نقص فى عدد النبض بالدقيقة مع تغيرات فى رسم القلب بالإضافة إلى أعراض زيادة حامضية الدم الذى يؤدى إلى شهيق عميق وسريع . وأخيراً ممكن أن يكون المريض فى حالة غيبوبة كاملة . وإذا عبر المريض هذه المرحلة من الأعراض ممكن أن تظهر المرحلة الثانية وهو عبارة عن تبول بدرجة كبيرة تصل إلى ١٠ لتر بول يومياً مع نقص السوائل بالجسم والأملاح .

وأخيراً ممكن أن يشفى المريض تماماً ويعود إلى المرحلة الطبيعية وذلك خلال أسبوعين إلى ٣ أسابيع .

العلاج :

● ويشمل التشخيص السريع والمبكر مع تعويض السوائل المفقودة بالمحاليل والنزيف بالدم السليم المتوافق ثم استبعاد وجود حصوات بالحالب بالأشعة العادية كما لا بد من تركيب قسطرة بولية لاستبعاد الاحتباس البولى وحساب كمية البول اليومية ولا بد من العلاج حسب رحلة الفشل الكلوى الحاد ، وذلك يعود إلى الطبيب الإخصائى ولا بد من تفادى أى أدوية ضارة بالكليتين كأدوية الروماتيزم والمسكنات وبعض المضادات الحيوية وعلاج حامضية الدم وزيادة بوتاسيوم الدم وعلاج الأعراض كالقيىء والتشنجات العصبية وخلافه .

● أما العلاج الآخر فى حالة استمرار سوء وظائف الكلى هو الغسيل البريتونى

أو الدموى وهو المسمى بالكلى الصناعية وذلك لتنقية الدم من الرواسب الضارة .

وفى حالة عدم الاستجابة فلا بديل من زرع الكلى بعد تحضير المريض .

ثانيا الفشل الكلوى المزمن :

● وهو يمر بمراحل تدريجية حتى يصل إلى عدم قدرة الكلى على العمل نهائياً .

وأسبابه عديدة وقد زادت فى العقدين الأخيرين وأهم الأسباب والتى يمكن تفاديها هى التهابات الكلى المزمن وانسداد الحوالب سواء ضيق أو حصوات وبعض الأدوية ، والمواد الكيميا بة وارتفاع ضغط الدم المزمن مع وجود أسباب أخرى بالنقرس والزئبة الحمراء وأمراض المناعية .

والأعراض عديدة وممكن ألا يلاحظ المريض بعضها حتى يدخل فى المرحلة النهائية لذا أطلق عليه لفظ الحرامى وتشمل

وظيفة الكلى

وحتى نوغل مستطلعين إنجاز « مركز الكلى » ، لا بد لنا من الرجوع إلى الكلى ذاتها ، ولو فى عجالة .

للإنسان الصحيح العادى ، كليتان ، كل منهما عبارة عن مجمع هائل من وحدات وظيفية دقيقة عددها مليون وحدة تسمى النفرونات Nephrones، تعمل معاً ، ومستقلة فى الوقت نفسه حتى إذا تلفت واحدة لا تبطل عمل غيرها . ويذكر أن أقل من ربع كلية قادر على إنجاز مهمة الكليتين إذا تلفت السبعة أثمان .

يأتى الدم عبر الشرايين الكلوية القوية التى تنبع من شريان الجسم الرئيسى « الأبهر » فتغمر نسيج الكلى بأكثر من عشرين ضعف ما يغمر أياً من أعضاء الجسم الأخرى بما فيها القلب : والسر يكمن فى أنه يتوارد ليس فقط لتغذية الكلى وإنما أساساً لتعمل فيه الكلى تنقيةً ، وتنظيماً ، وإفرازاً هورمونياً . فعبر النفرونات يرشح الدم لإخراج كل ما هو ضار وزائد من بقايا عمليات التمثيل الغذائى والتنفس كالمواد النيتروجينية

هذه الأعراض فقدان الشهية والهبوط العام والإجهاد والتعب والقيئ والزغطة وتقرحات الجهاز الهضمى وأعراض الجهاز العصبى كالصداع والدوخة وعدم النوم والتشنجات العصبية وتقلص العضلات ورعشة اليدين وأعراض ارتفاع ضغط الدم وهبوط القلب والنهجان وأعراض أخرى تشمل جميع أجهزة الجسم ومنها : الهرش وبعض الأمراض الجلدية والعظام وعدم القدرة الجنسية وعدم القدرة على الإنجاب من الطرفين .

العلاج : يشتمل على التشخيص عن طريق التحاليل الخاصة بوظائف الكليتين كالبولينا والكرياتين واستخلاص الكرياتين بالدم مع الدراسة بالموجات فوق الصوتية للكليتين والأشعة العادية مع أبحاث أخرى وذلك لتحديد سبب الفشل الكلوى ويحتوى العلاج على علاج الأعراض والتقليل منها .

ونظام أكل خاص لمرضى الفشل الكلوى والكبريتية والسموم التى تأتى إلى الجسم من خارجه فى صورة أدوية أو ملوِّثات ، تُفرز فى شكل يوريا وحمض يوريك وكرياتين . فى الوقت نفسه تحافظ النفرونات على سوائل الجسم فى حدود تركيب فسيولوجى معين بعملية مستمرة من إخراج الزائد أو امتصاص المطلوب تبعاً للتغيرات التى تحدث فى الدم . ومن هذا الترشيح يتكون البول الذى يسيل فى حوض الكلية وينزلق عبر الحالبين إلى المثانة التى تعمل ككيس وصمام معاً ، فهى تخزن البول إلى حد معين ثم تطلقه تحت سيطرة الجهاز العصبى وبآليات معقدة . إضافة إلى عمليتى تنقية الدم وتنظيمه ؛ فإن الكليتين تقومان أيضاً بعملية إفراز هورمونات هى : « الرينين » الذى يرفع ضغط الدم عند تعرض الإنسان إلى خطر يهبط بضغطه إلى حد الصدمة ، وهرمون « الأرثروبيوتين » المحفز لحياة الكرات الدموية الحمراء الجديدة . كما تقدم الكليتان الشكل النشط من فيتامين « د » ومواد أخرى .

وأهمها تقليل كمية البروتين الحيوانى إلى ٣٠ - ٥٠ جم يومياً مع ضبط كمية السوائل والأملاح اليومية حسب حالة المريض .

أما العلاج الأساسى فيشتمل على :

ا - علاج بالغسيل أو الاستصفاء دموى أو بريتونى وهو للإعاشة مدى الحياة وهو مكلف جداً ولك أن تتخيل أن المريض الواحد يتكلف حوالى ١٠ الآف جنيه فى السنة .

ب - زرع الكلى وهو الحل الوحيد والأصل لعلاج الفشل الكلوى ولابد من التوسع فيه بما يتفق مع الشريعة الإسلامية .

إذا تَفَكَّرْتَ فاذكر اطلاعه عَليكَ فإنه يقول : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ .

رأى بعضُهم رجلاً يستمع إلى رجل يَقَعُ فى عِرض آخر فقال له : نَزِّهْ سَمْعَكَ عن استماع الخَنَاء كَمَا تُنَزه لسانَكَ عن القول به ، فإنَّ المستمعَ شَرِيْكُ القائل ، وإنما نظر فى شرِّ ما فى وعَائِهِ فأفْرَغَهَا فى وِعَائِكَ .

إذا أُخْبِرْتَ عن رَجُل بِرِيءٍ ... من الآفات ظَاهُره صحِيْحُ
فسَلْهُم عَنْهُ هَلْ هُوَ آدمِيٌّ ... فإنْ قالُوا نَعَمْ فالقَوْلُ رِيْحُ
ولكن بَعْضُنَا أهْلُ اسْتِتَارٍ ... وعند الله أجْمَعُنَا جَرِيحُ
ومن إنعام خالقنا عَلينا ... بأن ذُنُوبنا لَيْسَتْ تَفُوْحُ
فَلَوْ فاحَتْ لأصْبَحْنَا هُرُوباً ... فُرَادَى فى الفَلا ما نستَرِيحُ
وضاقَ بِكُلِ مُنْتَحِلٍ صَلاحاً ... لِنَتْنِ ذُنوبِهِ البَلَدُ الفَسِيحُ

المعاصى تنقسم إلى قسمين : قسم ذنوب جوارح ظاهرة مثل القذف والغيبة والظلم والاغتصاب والقتل والزنا واللواط والسرقة ونحو ذلك .

والقسم الثانى : وهى ذنوب القلوب وهن المهلكات القاصمات ومنها : الشرك والشك والنفاق والكفر والاغترار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله .

ومنها احتقار الذنوب والتهاون بها والتسويف بالتوبة والإنابة والإصرار على المعاصى والرياء والتيه والكبر والعجب والخيانة والغدر والحسد والغل والحقد والبغض .

حوارٌ يبعثُ على الاعتبار..

فضيلة الشيخ

إبراهيم شعبان

عضو المركز العام ورئيس فرع المحلة

شقيق البلخي له باع في التربية نبت في مجلسه تلميذ يسمى حاتم الأصم – ولم يكن حاتم أصماً – وإنما عرف بهذا نتيجة حيلة حفظ بها ماء وجه امرأة في مجلس علم وجهت إليه سؤالاً وعند حديثها أحدثت فاحمر وجهها خجلاً من الإحراج ، فقال لها حاتم ارفعي صوتك عالياً حتى يمكن الإجابة عليك يهدف من ذلك اطمئنانها على حيائها حيث فهمت أنه لم يسمع ما حدث منها فانزاح عنها كابوس الخجل ؛ فأطلق عليه الأصم – وما هو كذلك ؛ ولكنها الحكمة – وإليك أخي القارىء الحوار الهادف بين الأستاذ وتلميذه مع إضافة فقرات إتماماً للفائدة واحتياجاً للموعظة فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

قال الأستاذ لتلميذه – يا حاتم ماذا تعلمت وقد صحبتني أكثر من ثلاثين عاماً ؟ فأجابه التلميذ – تعلمت ستة أشياء – وها هي :

● الأول : رأيت الناس في شك من أمر الرزق – فهاموا في الدنيا وأشغلتهم عن الدين خوفاً من الفقر – وجمعوا المال من حله أو حرامه وحرصوا على ما بأيديهم وشحت نفوسهم – فبخلوا على المحتاجين – ولم يفتحوا للفقير باباً – ولم يحضوا على إطعام مسكين – مشاريع الخير منهم في حرمان – والشح على أنفسهم أفسح ميدان – أولادهم من المخمصة في خوف – وذووهم من الحرمان في جنف – لم يعرف المسكين لهم باباً – ولم يأنس الفقير منهم طلباً – يسيرون بين الناس بصورة الفقراء – ينظرون لتجار السلع كارهين – وللخبز متسولين – يلتمسون فضلات الناس ، يرتدون رث الثياب دون

إحساس - أبدانهم من البخل نحيلة - وعيونهم من الحرمان ذليلة - فقلت فى نفسى كيف أتعب فيما ضمنه الله وهو القائل : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ ألست دابة - فأخذت سلاح التوكل على الله - ومشيت فى أرض الله - أضرب فى مناكبها وآكل من رزقه - قانعاً بما رزقنى به مولاى - قائلاً :

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملاً
نبا بك وقت أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات العصر عنك تزول

● الثانى : شاهدت أن لكل إنسان صديقاً يفشى إليه سره - ويشكو إليه أمره ويكشف له فكره - ويخشى أن يصبح سره مفشوّاً - وفكره مجلوّاً - وسرعان السر لم يدفن - والفكر لم يكفن - فذاع الأمر - وانكشف المخبوء - وأصبح الصديق عدوّاً - فاستحكم العداء - وزال الصفاء - وحل الجفاء - وانتشر البلاء - فقلت لنفسى : صديقك من صدّقك لا من صدّقك وتمثل أمامى قول القائل أحبب حبيبك هوناً ما - عسى أن يكون بغيضك يوماً ما - وأبغض بغيضك هوناً ما - عسى أن يكون حبيبك يوماً ما - فأصبحت من الناس على حذر دون إساءة - وأخذت العمل الصالح صديقاً والقول الطيب سلوكاً - فهما الرفيق عند الاحتضار - والسرير عند نزول القبر - والمدافع وقت سؤال الملكين - والمؤنس فى الوحشة - والصاحب فى الوحدة - والزميل حتى قيام الساعة - والمتحدث عند تطاير الكتب - والشاخص عند الميزان والنور على الصراط ومفتاح باب الجنة والسعادة .

● الثالث : لاحظت لكل واحد عدوّاً يريد إهلاكه - ويرقب تدميره - لا يحب أن يراه - يسره عنته - ويحزنه فرحه - ينتظر أن تدور عليه الدوائر - وتصطلح على سفينته الأنواء - فقلت لنفسى مَنْ عدوى حتى أحذره - أهو من ظلمنى - أم هو من أكل لحمى - أم هو المسىء إلىّ - نعم - هذا فى دنيا البشر وارد - فماذا أفعل لهؤلاء ؟ قلت : علىّ بإصلاح ما بينى وبين ربى - فهو القائل يوم الفصل : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ والرسول قال : « إنما المفلس الذى يأتى بصلاة وصيام وزكاة ، ولكنه شتم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا ، فيؤخذ من حسناته إلى حسناتهم ، فإذا فنيت حسناته ولم يقض ما عليه ، أخذ من سيئات من ظلمهم إلى سيئاته ثم طرح فى النار »[1] ففهمت أنهم بظلمهم لى وإساءتهم إلىّ

يهدوننى حسناتهم ويحملون عنى سيئاتى فلم أحفل بهم - وإنما كانت نظرتى للعدو الحقيقى فإذا هو يجرى منى مجرى دمى وهو الشيطان الذى يغرينى بمعصية الله - ويزين لى مواطن الهلكة - وإلى نفسى الأمارة بالسوء التى تضاجعنى - تقيل معى حيث أقيل - وتقوم معى حيث أقوم - وثالث الأعداء دنياى التى تتمثل بالعجوز الشمطاء التى أسقطت أسنانها هلكت فى الدهر - تتقمص شخصية فتاة هيفاء - حسرت عن رأسها - وكشفت عن ساقيها - تنادى طلابها - فتغدر بعشاقها ، قولها مضحك وفعلها مُبكٍ - وختام الأعادى الهوى العاصف الذى طار بصاحبه إلى النكبات فأغرق سفينته فى بحر لجّى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه ظلمات - فأخذت هؤلاء الأربعة أعدائى وكم أحاول الإفلات - وأحضرنى قول القائل :

إنى بليت بأربع ما سلطوا
إلا لكثرة شقوتى وبلائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائى

● الرابع : رأيت أن كل مخلوق مطلوب - ولكل مطلوب طالب - والموت طالب المطلوب فرجعت إلى نفسى وقلت - أين الآباء والأجداد - أين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد - وزخرف ونجد - طحنهم الثرى بكلكله - فتلك عظامهم بالية - وجلودهم ممزقة وشعورهم متناثرة - فسقطت أناملهم التى أجادت الكتاب - وعميت أبصارهم التى يا طالما نظرت إلى الأحباب - وتناثرت الثنايا وقد كانت لؤلؤاً لرد الجواب - بيوتهم خربت أو بيعت للأعداء - أموالهم قسمت - وأزواجهم نكحت أو ترملت - أولادهم تيتمت أو خدماً لكسرة خبز جافة - نعم - قد يكون هذا أو بعضه - فقلت - سبحان الذى لا يموت - وتمثلت قول القائل :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر - لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر - ورأيت قومى نحوها يمضى الأكابر والأصاغر - لا يرجع الماضى إلىّ ولا من الباقين غابر - أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر - فأفرغت نفسى للذى لا بد منه - حتى إذا جاء الطالب استقبلته دون علائق - وقلت : حبيب جاء على شوق - وتمثلت بحديث من قال : غداً ألقى الأحبة - محمداً وصحبه .

● الخامس : نظرت إلى الناس أحباباً وأعداء - فلم يملك أحد لنفسه فضلاً عن غيره شيئاً - ولكنه التكالب على الدنيا - أو الحسد البغيض الذى يأكل القلوب - والحقد الدفين

الذى يطرد الإيمان - فقلت لنفسى -

طلق الدنيا ثلاثاً
وابتغ زوجاً سواها
إنها زوجة سوء
لا تبالى من أتاها

وإنها رأس كل خطيئة إن أحببتها - إذا حلت أوحلت - وإذا جلت أوجلت - وإذا كست أوكست - فكم رفعت لأهلها علامات - فلما علا - مات - وحاربت الحسد - فهو المرض الذى لا دواء له سوى الإيمان والقناعة - فكم أعيا الأطباء وأيأس العلماء - وكما قال معاوية : عالجت كل المرضى إلا الحاسدين - عجزت فى علاجهم - فهم أصحاب علة بلا مرض - وأهل مرض بلا علة - مرضهم الحسد وليس الغبطة - يتمنون زوال نعمة الله عن أصحابها - عياذاً بالله من هذه العلل فتمثلت قول القائل :

أمتّ مطامعى فأرحت نفسى
فإن النفس إن طمعت تهونُ
وأحييت القنوع وكان ميتاً
ففى إحيائه عرضى مصونُ

وبقول القائل :

اصبر على كيد الحسود
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

فاتخذت الدنيا مطية ذلولاً لآخرتى - وقنعت بما قسمه لى ربى - :

فعشت غنياً بلا درهم
أمرّ على الناس مثل الملك

● السادس : رأيت أن كل ساكن لابد وأن يتخلى عن سكنه طوعاً أو كرهاً - وأن مصير الإنسان إلى دار جديدة بعد رحيله عن دنياه - فأعددت ما يمكن إعداده من زاد التقوى ولباسها للسكن الجديد - وسمعت من ينادى قائلاً :

تزود للذى لا بد منه
فإن الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد

فسر الأستاذ من تلميذه الأصم - وأرجو أن نكون تلاميذ للقرآن الكريم والسنة المطهرة كى نفوز فوزاً عظيماً - .

أخى القارىء - هيا نشد المئزر - ركضاً إلى الله بزاد التقوى - سائلين الله حسن الخاتمة ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم - وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال أحدهم : يا عجباً كيف أنس بالدنيا مفارقها ، وأمِن النارَ واردُها ، كيف يَغفُل مَن لا يُغفل عنه ، كيفَ يفرحُ بالدنيا مَن يَومُه يَهدِم شَهْرَه ، وشَهُره يَهدِم سَنَتَه وسَنَتُه تَهْدم عُمُرَه ، كَيفَ يَلْهو مَن يَقُوده عُمُره إلى أجَلِهِ وحياتُه إلى موته .

إخوانى : الدنيا فى إدْبار ، وأهلُها منها فى استكثار ، والزارع فيها غير التُّقَى لا يَحصُدُ إلا الندم .

وصية الوداع

بين صيانة التوحيد .. وإثبات العبادة

لقد كان النبى ﷺ دائم النصح لهذه الأمة يعلّم جاهلها ويذكر غافلها ... ويهدى أهل الضلالة ويرشد أهل الغواية ... وما ترك باباً من الخير إلا دل أمته عليه رجاء أن يلجوا فيه ... وما ترك باباً من الشر إلا دلهم عليه رجاء أن يغلقوه دونهم ... كيف لا يصنع ذلك وهو الذى أخبر عنه ربه فى كتابه بقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة - ١٣٨] .

وبقوله : ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحجرات : ٧] .

فكان ﷺ يجهد لهذه الأمة ويعلم أصحابه. وينصح لهم فى كل نازلة من النوازل ، وفى كل ما يجد من الحوادث ... وحينما نزل بالنبى ﷺ مرض الموت حيث كان يعالج سكراته لم ينس ما حمّله الله من الأمانة وما وكل إليه من أمور الديانة ، فلم يغفل فى هذه اللحظات عن نصح أمته ولم ينس فى الوداع وصيته ... فماذا كانت وصيته التى ودّع بها أصحابه ؟! .

وماذا كانت نصيحته التى نصح بها الأمة وفارق بعدها الدنيا ؟! .

روى مسلم فى صحيحه عن السيدة عائشة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه . فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا[1] .

نعم ، كان ﷺ يحذر هذه الأمة من صنيع اليهود والنصارى ... فماذا صنعوا ؟! ... لقد أفسدوا التوحيد الذى دعاهم إليه الأنبياء ... فاتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد

تهوى إليها أفئدتهم وتتعلق بها قلوبهم فيستغيثون بهم ، ويتضرعون إليهم ، ويعلقون بهم الرجاء ويسألونهم دفع الضرر والبلاء ... وهل هناك شرك بالله أوضح من ذلك وكفر بالله أبين منه أو ليس ذلك هو كفر العرب فى الجاهلية وشركهم بالله قبل الرسالة المحمدية ... وإن لم تكن قبوراً فقد كانت أصناماً لا تنفع ولا تضر اتخذوها إلى الله زلفى .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[يونس : ١٨] .

من أجل ذلك لا يحل إبراز القبر وتعظيمه ولو كان قبر سيد المرسلين وخاتم الأنبياء وإمام المتقين .

روى مسلم فى صحيحه عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : فلولا ذاك أُبرِز قبره غير أنه خُشِى أن يُتَّخَذَ مسجداً[٢] ، وقد تكرر تحذير النبى ﷺ من هذا الشرك فى أكثر من موقف فى أيامه الأخيرة التى عالج فيها مرض الموت ... فعن جُنْدب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس - يعنى بخمس ليالٍ أو أيام - وهو يقول : « إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل فإنَّ الله تعالى قد اتخذنى خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك »[٣] .

...بل كان يتدخل ﷺ ... وهو يعالج ألم المرض ليصحح التصور ويبين العقيدة ويكرر وصيته ونصحه للأمة ، وهو يعلم أنه يوشك أن يتركهم ويلقى ربه بعد أن خُيِّر بين زهرة الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله .

روى مسلم عن السيدة عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير ، وأنهم تذاكروا ذلك عند رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه فقال ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوْا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ؛ أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[٤] .

... هذا ما كان يتخوف منه رسول الله ﷺ على أمته عند موته ... وكأنه رأى حال الأمة اليوم ، إذ لم يحفظ كثير من المسلمين وصيته وفرطوا فى هديه ونصيحته ، فبئس ما

صنعوا وبئس ما فرطوا وضيعوا ... ثم بعد صيانة التوحيد ... أوصاهم بإثبات العبادة وإحسانها ... فقد كانت الوصية بالصلاة من آخر ما تكلم به النبى ﷺ ونصح به ، حتى كانت كلماته تتلجلج فى صدره عند الاحتضار ولا يفصح بها لسانه .

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أم سلمة قالت : « كان من آخر وصية رسول الله ﷺ : الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حتى جعل نبى الله ﷺ يلجلجها فى صدره وما يفيض بها لسانه »[٥] .

... إن الوصية بالصلاة وصية بالعبادة كلها ، فإن الصلاة أشرف وأجل العبادات ... ، وانظر إن شئت قول الحق سبحانه لموسى عليه السلام :

﴿ وَأَنَا اخْتَرتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِى أَنَا اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكرِى ﴾

[طه – ١٣ : ١٤] .

فبعد أن عمم الحق سبحانه وتعالى طلبه من موسى عليه السلام بالعبادة ذكر أخصها وأعلاها وأشرفها ... ألا وهى الصلاة فمن حفظها وأقامها وأتمها ... فهو لما سواها من العبادات أحفظ ، ومن ضيعها وتركها ... فهو لغيرها من العبادة أترك ... ولا خير فى عمل يعمله ولا صنيع يصنعه ... حتى يقيمها ويؤديها كما أمر الله سبحانه ، وكما وصى بها نبيه ﷺ عند احتضاره ...

فاحفظوا أيها المسلمون وصية نبيكم ولا تضيعوها فإنه قد استأمنكم عليها وإن الله سائلكم عنها ... فأعدوا لسؤال الله جواباً .

... ثم لم ينس النبى ﷺ أن يحض المسلمين ويوصيهم بتطهير جزيرة العرب من المشركين ... وإخراج اليهود والنصارى

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال : « ائتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فتنازعوا ، ولا ينبغى عند نبى نزاع ، فقالوا : ما شأنه ؟ أهَجَرَ ، استفهموه . فذهبوا يردون عليه فقال : دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعوننى إليه ، وأوصاهم بثلاث قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا للوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة ، أو قال : فنسيتها »[٦] .

١ البخارى فى المغازى (٣/١٨٤) برقم [٤٤٤٣] ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٣١) .
٢ – البخارى فى المغازى (٣/١٨٣) برقم [٤٤٤٣] ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٩) .
٣ – مسلم كتاب المساجد برقم (٥٣٢) .
٤ – مسلم كتاب المساجد برقم (٥٢٨) .
٥ – المسند (٦/٢٩٠ ، ٣١١ ، ٣٢١) .
٦ – البخارى فى المغازى (٣/١٨١) برقم (٤٤٣١) .